# مقالات إسلامية

يحيى غالي ياسين

مقالات وكتابات وأبحاث اسلامية متنوعة ، كُتيت في اوقات ومناسبات مختلفة ، تناولت موضوعات متعددة ، أُعدت للقراءة السريعة على مواقع التواصل الاجتماعي ومواقع الانترنت ، جمعناها هنا وكلنا أمل ان تنال رضا الله تعالى ورضا رسول الله وآل بيته الكرام صلوات الله عليهم اجمعين .. ورضا القارىء الكريم ، والحمد لله وحده ..

# الصوفي والرسالي ، في نقطة افتراق حقيقية

التصوّف والرهبانية في الإسلام يمثلان مشكلة حقيقية طالما عالجها القرآن الكريم وسنّة وسيرة المعصومين ومن اتّبعهم من الصالحين ، فلقد ورد بهذا الصدد :

{ أنه جاءت امرأَةُ عثمان بنِ مظْعون إلى النَّبِيّ - صلى الله عليه وآله - فقالت : يا رسولَ اللَّه إنَّ عثمان يصومُ النَّهَارَ وَ يقُومُ اللَّيْلَ .فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله - مُغْضَباً يَحْمِلُ نَعْلَيْهِ حَتَّى جَاءَ إِلَى عُثْمَانَ فَوَجَدَهُ يُصَلِّي . فَانْصَرَفَ عُثْمَانُ حِينَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله - .

فَقَالَ لَهُ : يَا عُثْمَانُ لَمْ يُرْسِلْنِي اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّهْبَانِيَّةِ ، وَ لَكِنْ بَعَثَنِي بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ ، أَصُومُ وَ أُصَلِّي وَ أَلْمِسُ أَهْلِي ، فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي ، وَ مِنْ سُنَّتِيَ النِّكَاحُ " }* .

ففي الوقت الذي يسعى فيه الصوفي الى توجيه الزخم الايماني والعبادي نحو كمال نفسه والتحليق بها الى درجات قربية هو يريدها او يتوهمها ..! فإننا نجد أن المسلم الرسالي لا يختزل الإسلام في شخصه وإنما يحاول بسطه على أوسع مساحة اجتماعية لأنه يؤمن أن الرقي الحقيقي في الإسلام هو رقي أممي جماعي وليس فردي أو شخصي ..

نعم ، لا بد ان تكون للمسلم شخصية إيمانية خاصة ولكن لا بد أن يعلم بأن هذه الشخصية مهما علت فإنها ستقف عند مستوى معين لا يستطيع الانتقال الى ما هو أعلى منها الاّ مع الأمة ومع الجماعة ..

ولهذا فإن قوله تعالى ( وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ) لعله تشير الى هذه الحقيقه من خلال الرقي والفوز الجماعي بالجنة ( زمرا ) ، بل حتى الآية التي تتحدث عن الدخول الفردي لمؤمن ال فرعون ( قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ) فيها إشارة واضحة الى عمله الجمعي ومحاولاته مع قومه رغم فشلها الاّ أنه بالتالي عبد الله بروح الجماعة وبقيت هذه الروح عنده حتى قبيل دخول الجنة .

يقول أحد الصوفية ( صعد محمد النبي الى السماوات العلى ثم رجع الى الأرض ، قسماً بربي ، لو أني بلغت هذا المقام لما عدت أبدا ) ..!!

بينما محمد ـ ص وآله ـ عاد ، والفرق أن مرحلة الشهود هي غاية الصوفي والرهباني ، بينما عند الرسالي هي مرحلة تزود في طريق السير الكوني العالمي الى الله تعالى .. فتأمل

---

* الكافي 5/494

# الدول : إشارة إلى أطوارها وأسباب قيامها وإنهيارها

من السنن التأريخية التي يثّبتها التأريخ البشري ويقرّها الدين ويحققها علم السياسة هو أن لكل دولة عمر يطول أو يقصر , وتكاد أن تتشابه الدول في أسباب موتها وقصف عمرها وإن إختلفت في أسباب نشوؤها وولادتها :

• فيذهب ابن خلدون مثلاً في مقدّمته الى أن ( العصبية ) هي سبب قيام الدولة وإنهيارها , ويعتمد وجود الدولة على وجود العصبية بين أبناءها , والعصبية بالمفهوم الحديث هو أقرب الى مفهوم القومية والعر..

• ويذهب ميكافيلي الى انّ القدرة السياسية هي التي تحدد بقاء الدولة أو زوالها , والقدرة السياسية عنده تتمثل بكثرة الرجال والاموال عند الحاكم .

• بينما يُفهم من سقراط أن السبب هو تحوّل الشعب الى طبقتين غنيّة حاكمة وطبقة فقيرة , وطبقة الفقراء والمعدمين هي طبقة خطرة على الدولة حيث تنزع أخيرا الى السلاح وتقضي على الطبقة الغنية .

• بينما في مفهومنا الإسلامي يكون العدل أساس الملك ويعتبر الظلم والطغيان من أهمّ أسباب زوال الدولة وفناءها .. قال تعالى ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا ) , وقال تعالى ( وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ) ..

ولقد شبّهوا الدولة بالطفل الذي يولد ضعيفاً , ثم يشتدّ عوده وتقوى شكيمته ثمّ بعد ذلك يهرم ويضعف , ويحدد ابن خلدون في مقدمته

عمر الدولة بثلاثة أجيال ( الطفولة - الشباب - الكهولة ) , ويعطي عمر تقريبي لكل جيل هو ( 40 ) سنة , فيكون معدل عمر الدولة ( 120 ) سنة , غير أننا نقول لو أنّ ابن خلدون اكتفى بتحديد ثلاثة أجيال وأطوار للدولة من دون تحديد عمرها بالسنوات لكان أسلم وأكثر علمية , فهذه الدولة العباسية والدولة العثمانية استمرت كل منها مئات السنين ..!

ولعل الآيةّ القرآنية : ( إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) واضحة في إستعراض هذه الأطوار الثلاثة للدولة .

وأخيراً : رغم كل التعريفات التي حاولت وضع مفهوم محدد للدولة ، فلسفياً وقانونيا ودينياً .. الخ ، الّا أنها تبقى كائناً اجتماعياً وتجمّعاً بشرياً منظّماً ، يرقى برقي الإنسان الذي تتألف منه وتتردى بترديه - والعياذ بالله

# لعن الله شرّ الثلاثة

كان لمروان بن الحكم ضيعة ( بستان ) بالغوطة وعليها وكيل له ، فاتهمّ هذا الوكيل فلّاحاً يعمل بهذه الضيعة ، فقال الوكيل لهذا الفلاح : ويحك ! إني لأظنك تخونني ..؟ فردّ عليه : أفتظن ذلك ولا تستيقنه ؟ قال : وتفعله؟ قال : نعم ، والله إني لأخونك ، وإنك لتخون أمير المؤمنين ( يقصد عبد الملك ) ، وإنّ أمير المؤمنين ليخون الله ، فلعن الله شر الثلاثة ..!!

تصوغ لنا هذه الحادثة معادلة ظالمة تستعملها الكثير من الحكومات والمؤسسات والإدارات ، ولقد حذّرنا رسولُ الله - ص واله - منها في قوله " إنما أهلك الذين قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " .

أنتج لنا استعمال هذه المعادلة العديد من الثورات على طول خط التأريخ ولا زالت إلى حد هذه اللحظة سبباً لإسقاط أنظمة وتبديل حكومات ، وهي ثورات مُحقة يقوم بها الأحرار من الناس .

وفي مقابل هذا الجانب التاريخي المظلم فإنه توجد مواقف ناصعة ، سواء في التأريخ الإسلامي او تأريخ الشعوب الأخرى ، فلا زال قانون المُحمدي « وَأيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» يرفع كل شفاعة او حصانة باطلة في الإسلام ، ولا زال الكثير من المسؤولين في الكثير من بلدان الغرب والشرق يقفون صاغرين أمام القانون ويُحاكمون ويدانون كأي مذنب آخر ، الاّ في بلداننا

العربية وبلدان العالم الثالث كما يسميها الغرب حيث لم تنفك عنها إلى الآن روح البداوة والطبقية والعنصرية الجاهلية ..

ولقد نصّت المادة السابعة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أن " كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة ، كما أن لهم جميعًا الحق في حماية متساوية ضد أي تميز يخل بهذا الإعلان .. " ، ولكن كم قانون محلي أو عالمي بقي حبراً على ورق ..!

# ثلاثية ( الإيمان - والاعتزال - والهجرة )

هنالك ثمّة تراتبية بشرية بين ثلاثة عناصر متسلسلة ومتعاقبة بشكل يكاد يكون تعاقباً ذاتياً ضروريا ..

فأول هذه الامور هي عندما يؤمن الانسان بفكرة معينة يخالف بها رأي الأكثرية أو يعيش في مجتمع يؤمن بالضد من فكرته وعقيدته ، وهي فترة التحرر الفكري الشخصي ومرحلة تكسير القيود الموروثة أو المفروضة بيئياً ، ثم بعد هذه المرحلة - مرحلة الإيمان أو التبني الفكري - ولكونه لا يستطيع فرض رأيه وإقناع الآخرين إلا ما ندر مما ليس لهم تأثير اجتماعي معين رغم المحاولات الكبيرة والكثيرة فإنه ( أو أنهم ) سينفصل تدريجياً عن بيئته ويعتزلهم اعتزالاً معنوياً وإن كان ظاهرياً يعتبر جزءاً منهم ، ولنقل هو فيهم ولكن ليس منهم ..

ثم تتطور حالة الاعتزال هذه الى حرب نفسية ومواجهات قاسية وجائرة تصل الى حدّ الخطورة على الإيمان أو على النفس ، فيصبح عندئذ قرار المرحلة الثالثة وهي الهجرة ناجزاً ، يصبح الانفصال الجسدي العضوي من ذلك المجتمع ضروريا ..

وتأريخياً فإن هذه الثلاثية ( الإيمان والاعتزال والهجرة ) متكررة وبكثرة ولكن لعل أوضح مصاديقها هي ما حصل للرسول الأكرم صلوات الله عليه في بداية الدعوة وكيف تحوّل إيمانهم الى عزلة نفسية وفكرية داخل مجتمع مكة بل وصل إلى حد عدم التعاطي معهم بشؤون الحياة كافة ثم عندما ازداد الخطر عليهم تقررت الهجرة الى المدينة ..

**فلاحظ الآيتين القرآنيتين التاليتين كيف تتحدثان بوضوح عن هذه المراحل الثلاث :**

**الآية 1 : وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ .**

**هذه الآية تعطي هذا التسلسل ؛ امنوا - هاجروا - جاهدوا ..**

**الآية 2 : ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**

**هذه الآية تقول هاجروا من بعد ما فتنوا ، اي الفتنة تكون قبل الهجرة ..**

**فيكون التسلسل ؛ ايمان - فتنة - هجرة - جهاد ..**

**والفتنة هنا هي معنى الحرب النفسية الناتجة عن الاعتزال .. وأما الهجرة فهي ليس محل كلامنا في هذا المبحث ..**

**وهناك شاهد آخر على هذه الثلاثية وهي في قصة أصحاب الكهف ، فصرح القرآن الكريم بهذه المراحل الثلاث ايضاً حيث قال ؛**

**مرحلة الإيمان : نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى .**

**مرحلتا الاعتزال والهجرة : وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا .. حيث الإيواء الى الكهف هو الهجرة هنا .. فتأمل**

# فكرة المساجد المعرفية

**يصف الدكتور علي شريعتي المسجد الإسلامي في كتاب ( معرفة الإسلام ) بأنه يمثل ( معبد المسيح ) و ( اكاديمية افلاطون ) و ( مجلس أعيان روما ) ، مستنداً في ذلك على ما كان يمثله المسجد أيام النبي ص وآله في حياة الأمة ، حيث كان معبداً ومدرسة وبرلمانا ..**

**لم يُشرَّع المسجد في الإسلام الاّ ليكون حجر أساس الحواضر الاسلامية ومركز قيادتها ورعايتها ومحو أمّيتها والارتقاء بها روحياً وثقافياً وعلمياً ..**

**فمن أولى خطوات اصلاح المجتمع بصفته الاسلامية ، واستبدال النظرة السيئة على الإسلام من قبل الآخرين هو إعادة دور المسجد في حياة الأمة وإعطاءه المركز الحقيقي الذي فقده منذ عقود طويلة مضت ..**

**خلو المساجد من روّادها وتعطيل نشاطها - الاّ ما ندر - دليل تخلّف أهلها اسلامياً وتراجعهم روحياً وخمولهم عن رسالتهم الحقيقية وتقاعسهم عن أهدافهم التي أرادها الله لهم ..**

**طالما كانت المساجد عبارة عن غرف عمليات الثورات ومصدر إلهام القيادات ودور تعبئة وتحشيد الإنتفاضات ، راجع ارهاصات الثورة الاسلامية في ايران وأهم اسباب انتصارها وتوطيد اقدامها**

وتجذيرها في روح وعقل الشعب الايراني فستجد أن المسجد على رأس تلك الاسباب ، ففي كلمة للسيد الخميني ( قدس سره ) يحذر فيها من فصل الثورة عن المسجد يقول فيها : "لا تخافوا طائرات العدو ، بل خافوا خلو المساجد" .

نحن نتكلم عن مساجد الفكر والوعي ، مساجد النور والحركة الرسالية ، تلك المساجد التي بارك الله حولها لتكون معراجاً لأمتها نحو سموها ومجدها وعزتها ..

وانتهز الفرصة هنا لقدح فكرة المساجد المعرفية على غرار المدن المعرفة التي بدأت بعض المدن تطبيقها ، فكرة هذه المساجد هي تسخير الامكانيات المعرفية العصرية والتي انبثقت ثورتها مع الثورة التقنية والتكنولوجية التي نشهدها في ايامنا هذه لأداء دور المسجد في الأمة واداء نشاطاته على النحو الواسع ، فالمسجد المعرفي لا يقتصر على منطقته ومدينته بل يمكن ان يصل نوره الى اوسع مساحة ممكنة ، والمسجد المعرفي لا تحدّه حدوده العقارية وانما يستطيع ان يجعل من الكرة الارضية كلها ملحقاً لقاعة صلاته ورفوفاً اضافية لمكتبته وحلقة كبيرة لدرسه ، فهو مسجدٌ لمن لا مسجد له ، وإمامه إمامٌ لمن لا إمام له .. ويمكننا ان نطور الفكرة اكثر فاكثر لاحقاً لأننا هنا نريد أن نثيرها فقط ، ففي المسجد إمكانية أن تُلق به مؤسسات ذات عوائد مالية مثلاً وغيرها ..

قال تعالى ( إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ ..

# شكوى الحديث الشريف

كان حديث الرسول ص واله وروايات المعصومين ع عصب الشريعة بعد القرآن الكريم وميزان الفضل والعلم ، فلقد تناولها المؤمنون روايةً ودرايةً وحفظاً وكتابةً ونسخاً ..

غير أنَّ ذلك الاهتمام شهد تراجعاً كبيراً في العقود المتأخرة ، وأصبحنا جميعاً نشعر بهذا الخلل الواضح والتقصير الفادح من غير ان نخطوا خطوات جادة في تصحيح هذا الانحراف وتعويض هذه الخسارة ..

لم تكن كتب التفسير والعقائد والفقه والاخلاق .. وغيرها معادلاً موضوعياً عن كتب الاحاديث والروايات الشريفة ، فبركة الرواية على العقل وأثرها في النفس وإنعكاسها على العمل يختلف تماماً عن هذه الأقلام رغم فضلها وشرفها ، ( فكلامهم نور ) عليهم السلام كما ورد ..

واكيداً انا لا ادعو الى ترك هذه الكتب التي يحقّ لنا الافتخار بها كونها تمثل العلامة الابرز لحضارتنا الفكرية والعلمية والايمانية المعاصرة وانما علينا ان لا نخسر تلك البركة وذلك المعين الصافي الذي لا ينضب .. ولأجل ذلك نقدم بعض المقترحات لمعالجة ولو جزء من المشكلة :

1. ان نبدأ من الرسالة العملية للفقهاء من خلال تضمين مسائلها ببعض الروايات التي استندت عليها وان يكون ذلك في المتن وليس في الهامش الذي لا يهتم به القارىء في الغالب ..

2. وكذا الأمر بالنسبة لباقي المؤلفات العقائدية والاخلاقية وسائر الكتب الاسلامية ، ورغم انّ هذا الباب من الكتابات من حيث ذكر الروايات افضل من الرسائل العملية التي تكون معدومة منها في العادة الاّ انّه يحتاج ايضاً الى تركيز وسعة استعمال في ذلك ..

3. فتح مراكز ومعاهد متخصصة بالحديث الشريف من شأنها تخريج رواة ثقاة في النقل يكملون سلسلة نقل الحديث ويتممون سنده ومن خلال اجازات شرعية معتمدة في نقل الرواية ..

4. نحتاج الى مدارس ودروس ، مناهج ومواد خاصة بدراية الرواية ودلالتها وسائر احكام وضوابط التعاطي معها ، ولا نقصد بذلك حوزات تخرّج لنا مجتهدين وانّما في سبيل الحصول على ثقافة واعية ومعمّقة في الحديث الشريف .

5. تداول الروايات على الألسن وفي قنوات المعرفة المختلفة الالكترونية وغير الالكترونية وجعلها مادة للإستشهاد كما هو حاصل مع أبيات الشعر والحِكم وضرب الأمثال وغيرها يساعد على إعادة الرواية الى موقعها الطبيعي ورفع الحيف عنها ..

وهنالك مقترحات كثيرة طبعاً ولكن هدفنا من هذا المقال هو الإشارة والتذكير فقط ..

وقد نتخوّف كثيراً من ذكر الرواية خوفاً من الخطأ بألفاظها وبالتالي نتورط في الكذب على المعصوم إلا ان المعصوم نفسه حلّ لنا

**المشكلة ، في الكافي : محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أسمع الحديث منك فأزيد وأنقص؟ قال: إن كنت تريد معانيه فلا بأس ..**

**او نتخوّف من الخطأ في اسم المعصوم صاحب الرواية ، وكذلك الامر هيّن ، في الكافي : عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الحديث أسمعه منك، أرويه عن أبيك، أو أسمعه من أبيك أرويه عنك؟ قال: سواء إلا أنك ترويه عن أبي أحب إلي. وقال أبو عبد الله عليه السلام لجميل: ما سمعت مني فاروه عن أبي ..**

**فلا عذر لنا في كثير من الأمور التي نختلقها والتي كانت من اسوء نتائجها تراجع الحديث الشريف وانحساره عن ثقافتنا الاسلامية .. هي شكوى نرفعها نيابةً عن الحديث الشريف وما التوفيق الا منه تعالى ..**

# محنة التعاطي مع النصّ الديني

تتميز النصوص ذات اللمسة الأدبية والإبداعية بوجود مسافة بين الدال والمدلول ، أي بين اللفظ والمعنى ، كونـها تستعمل الصورة والكناية والمجاز والاستعارة ... الخ ، على عكس النصوص الأخرى من غير الأدبية ، كالأخبار والتقارير العلمية وغيرها ، حيث تكون ألفاظها دالة على معانيها دلالة مباشرة أو مطابقية حسب مصطلح علم المنطق ..

والنص الديني ( قرآن وحديث ) يقع على رأس قائمة النص الإبداعي داخل إطار اللغة العربية ، الّا أن الملاحظ من الذين يتعاطون مع النصوص الدينية قد تعاملوا مع هذه المسافة بعدة أساليب تكاد تكون متضادة فيما بينها :

فمنهم من ألغى هذه المسافة وأعتبر أن الوقوف أو الجمود على لفظ النص هو الطريق الأصح والأسلم حتى وإن كان يصطدم ببعض العوائق والمعرقلات ، كما هو حاصل مثلاً في الجمود على بعض الفاظ القرآن التي تجسّم الذات الالهية وتجعل له يداً ووجها .. في حين أن نفس النص القرآني يقول بأن الله ليس كمثله شيء ، وسبحان الله عما يصفون .. الخ

ومنهم من بالغَ في سعة هذا المسافة وأعطاها أكثر مما يلزم وقابل الإفراط أعلاه بتفريط لا يقل خطأ وخطراً عنه ..! وهو ما يسمّى بتعدد القراءات للنصّ الواحد ، وتعدد القراءات عند مستوى معين جيد وحالة صحية ولكن لا ينبغي أن نشك في كل معنى وقراءة

**متولدة واتخاذ هذا الشك منهجاً واسلوباً حتى يصل إلى ماهو معروف بالمذهب التفكيكي للنص ، وهو منهج نقدي مهمته التشكيك في كل معنى ولا يسمح الارتكاز والركون الى احد المعاني ولديه القدرة على أن يجعل من المدلول دالاً ، ثم من هذا الدال مدلولاً وهكذا .. هذا التعدد يضيّع القارىء ويُبعد المعنى ويذوّبه في تعدد المعاني المحتملة حتى يصبح النص بحكم الفارغ والأجوف من كل معنى عملي يمكن توظيفه ..**

**بينما هنالك اتجاه ثالث بدأ يطفو على سطح الثقافة الاسلامية ، وأقول يطفو لأنه بدون جذور ويعوم على مجموعة من الأفكار السيّالة ، اصحاب هذا الاتجاه اخترعوا طرقاً بمجموعها تمثل دعوة الى اعادة كتابة النص الشرعي بحسب المعاني التي يريدونها او التي تنقدح في مخيلتهم لسبب وآخر ، فتارة يبطلون بعض النصوص الثابتة بدعوى الضعف او الدس ، وتارة اخرى يحمّلون النص ما لا يستوعبه من المعاني الغريبة والاجنبية ، وتارة ثالثة يقومون بتوليف بعض النصوص ويصنعون خلطة غير متجانسة من الناحية العلمية ولكنها تنسجم وافكارهم المشوهة ومنتجة لما تهدأ اليه تطلعاتهم الشائبة ..**

**هذه بعض أهم المحن التي يعاني منها النص الديني وهي للأسف تعتبر من نوع النيران الصديقة في مقابل نيران العدو - كما يُقال - ، ولا زالت تفتك بالاسلام والمسلمين ، وضحاياها كُثر ..**

**فليس لكل أحد الصلاحية والمقدرة على التعامل مع النص الديني في الإسلام إن لم يكن مؤهلاً لذلك ، ففهم النص الشرعي له أصوله وقواعده وله أحكامه ، تبدأ من قواعد اللغة وفنونها وتنتهي بقواعد العقل والتزاماته ، الإلمام بجملة من العلوم والمهارات تجعل من الشخص مهيئاً للولوج بهذا الباب العظيم والخطير بنفس الوقت**

# كيف نقرأ التأريخ الإسلامي ..؟ / ١

من فروع القراءة غير السهلة على القارىء المهتم بما يقرأ هو فرع التأريخ الإسلامي ، ويحتاج قارئه فعلاً الى الإلمام ببعض المقدمات والأدوات الخاصة بهذا التأريخ ..

ولأن قراءة التأريخ لا تقرأ لنفسها وإنما لأخذ الدروس والعبر منها ، ولأن التأريخ الإسلامي والديني عموماً يعتبر تاريخاً حساساً ومهمّاً للغاية كونه مرتبطاً بعقيدة المسلم وأدبياته وتوجهاته الدينية ، أصبحت الحاجة الى معرفة كيفية قرائته أكثر حاجة وأكبر طلَبا ..

ومن خلال مقال واحد لا نستطيع أن نحيط بالإجابة ولكن سنحاول ذكر بعض العناوين العامة المُساعدة لذلك :

1. معرفة جواب ( مَن كتبَ التأريخ الإسلامي ..؟ ) كفيل بمعرفة جواب ( كيف يُقرأ ..؟ ) لأن التأريخ الإسلامي في - الغالب - كتبته الأقلام المأجورة والمشبوهة وخطته ايدولوجيات موجهة باتجاه الولاء لاتجاهات سلطوية أو مذهبية مختلفة ، فالقارىء عندما يعلم كاتبه على هذه الصفة وهذه المستوى سيكون حذراً من كل معلومة مطروحة أو فكرة مسطرة وعليه لا يأخذها مأخذ المسلمات ..

2. هل كُتب التأريخ الإسلامي عن حس ..؟ أم حدس ..؟ ، فهل كان المؤرخون يكتبون عن عصرهم أم عن أخبار قد نُقلت إليهم من هنا وهناك ، في الغالب لم يُدّون التأريخ الإسلامي اولاً بأول مما شكل

ضياعاً لكثير من الأحداث فضلاً عن التفاصيل وتلاعباً قي تفسير ما ذُكر منها .

3. لم يكن هنالك قرّاء جيدون كُثر قد تعاقبوا على ما قد كُتب من التأريخ ممكن يسدوا نقص الكتابة وتزييفها ، بل نجد هنالك قراءات مشبوهة للتاريخ قد زادت من الطين بلة ، ولعل طبقة المستشرقين ومن تأثر بهم كانت من اسوأ الطبقات المتأخرة التي قرأت التأريخ الإسلامي ولعبت به لعبتها لصالح توجهاتها الخاصة .. وعليه : فلا تتوهم أخي القارىء ، فأحياناً أنت تقرأ قراءة تأريخية وليس تأريخاً مكتوبا ، والفرق كبير .

4. لم يخضع التأريخ الاسلامي المنقول الى التشدّد السندي والتشدد في معاني ومدلولات متونه كما هو حاصل في النصوص الاسلامية الأخرى ، مما جعله في مهب ريح كل من هبّ ودب ، وبعض الكتابات التاريخية اعتاشت على غيرها ولم تذهب الى الحادثة المنقولة من طريق آخر ولهذا فكثير من المقاطع التاريخية نجدها تعود الى مصدر واحد ولكنها عرضت بشكل يوحي الى التواتر أو الاستفاضة في النقل .

5. لا نبخس حق الكتابات التاريخية الجيدة والصادقة على قلتها التي جائتنا عن حقب زمنية إسلامية مختلفة لحقتها قراءات جيدة ايضاً قد وضعت بعض النقاط على بعض الحروف .

قراءة التأريخ الإسلامي تحتاج الى خبرات متراكمة من التحقيق والتدقيق والتحليل والمقارنة ، فقراءة النص التاريخي مع قراءة

النقود العلمية والدراسات البحثية التي أجريت عليه هو الطريق الأسلم وإن كان الأطول

## كيف نقرأ التأريخ الإسلامي ..؟ / ٢

نستطيع القول أن القرآن الكريم تضمّن أولى النصوص التأريخية التي سجّلت أهم أحداث الإسلام ودوّنت أهم وقائعه ، وذلك من خلال الآيات التي تحدّثت عن وقائع إسلامية تزامنت مع نزول الوحي ومجريات الدعوة الاسلامية وحتى قريب وفاة النبي الأكرم صلوات الله عليه ..

وعليه فإن نفس هذه النصوص القرآنية الخاصة بالتأريخ الإسلامي تعتبر أفضل معلّم لنا حول الكيفية التي نقرأ بها التاريخ الإسلامي ، كونها تشترك بالقواعد العامة لذكر التاريخ في القرآن الكريم ..

فالكتاب المجيد عندما يذكر التأريخ إنما يذكره لحكمة وضمن أهداف محددة وليس حشواً او نثراً أدبياً وما شاكل ذلك ، وهذه الحكمة والأهداف هي ما يريده الإسلام من قارىء التاريخ ويعلّمه كيف يتعاطى معه .

فمن هذه الأهداف لذكر التاريخ في القرآن الكريم مثلاً : تثبيت إيمان المسلم بمبدأه وترسيخ عقائده ، قال تعالى ( وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ) ، ويعلّمنا القران أيضاً أننا ينبغي أن نقرأ التأريخ للتفكر ( فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) ، وأخذ العبرة ( لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ) .

المصداقية من أسس التأريخ المنقول في القرآن الكريم ومن شروط الاستفادة منه ( لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْه .. ) .

ومن أجمل عروض القرآن الكريم للتاريخ هو عرضه كقوانين ونواميس ومعادلات رياضية لا تختلف ولا تتخلف ، قال تعالى ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ) ، لاحظ كيف عرض التأريخ على شكل سنّة وقانون ، وخير من كتب في موضوع السنن التاريخية هو المفكر الكبير السيد محمد باقر الصدر عند عرضه لفكرة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم .

إذن : أهداف وأغراض ذكر وعرض التأريخ في القرآن الكريم تعتبر بوصلات الإتجاه الخاصة بالقراءة الناجحة للتاريخ الإسلامي على القارىء أن يتحراها ويسير باتجاهها ..

# كيف نقرأ التأريخ الإسلامي ..؟ / ٣

كُتب التأريخ الإسلامي بعدّة أساليب وأُتّبع فيه أكثر من منهج كتابة ، فتارة يُكتب حسب التسلسل الزمني للأحداث - بتنوعها - بحيث يعطى رقم السنة عنواناً لمجموع الأحداث الواقعة في تلك السنة ، او حسب الحقبة الزمنية - كصدر الاسلام والتاريخ الأموي والعباسي .. الخ - ، وتارةً أخرى يدوّن التأريخ الإسلامي بحسب الموضوع ، فيُستلّ الحدث التاريخي من مجموع أحداث السنةات او الحقب والذي ينسجم مع الموضوع المُختار والمبحوث فيه .. وهكذا تُجمع كل الأحداث المتشابهة - من جهة معينة - تحت ذلك الموضوع الجامع لها .

وقراءة التأريخ بحسب الموضوع من القراءات الجيدة في هذا المجال والتي تجعل القارىء أكثر إحاطة بالموضوع وأكثر استفادة منه وأكثر دلالة لعبرهِ ودروسه وسننه التي يجري عليها ..

وتوجد كتابات جيدة على هذا الأسلوب رغم قلّتها ، والكتابة بحسب الموضوع يعتبر نوع دراسة وتحليل على التواريخ التأسيسية والموسوعية التي تناولت أحداث ووقائع الاسلام والمسلمين بحسب السنة او بحسب الحقبة الزمنية . ومن العناوين التي تحضرني الآن فيما يخص كتابة التاريخ الاسلامي بحسب الموضوع :

+ مغازي الرسول ص واله

**+ تاريخ القرآن**

**+ انتفاضات الشيعة**

**+ الإمامة والسياسة**

**+ تأريخ الخلفاء**

**.. وغيرها**

**هذا النوع من الكتابة هو في حقيقته قراءة جيدة ومركّزة للتاريخ تساعد القارىء كثيراً وتعتبر خير معين لفهرست التأريخ الإسلامي ..**

**ولا بد من القول أن كتابة التأريخ الإسلامي بحسب الموضوع لا زالت تعتبر من الكتابات الشحيحة والضنينة في بابها ، فالمواضيع التي يمكن ان تُستل من التاريخ لا حدّ لها ولا حصر ..**

# قال لي معلمي !!

إفشاء السر وفضح الجريمة قبل تنفيذها قد تكون استراتيجية ناجحة لبعض الدول في تنفيذ مخططاتها وعملياتها السياسية ، لأغراض أهمها هو جس النبض أو تخفيف الصدمة عند وقوع الجريمة وبالتالي تخفيف ردّات الفعل المتوقعة .. أو على أقل التقادير يعتبر نوع من المقامرة وابتزاز الهدف من أجل الحصول على مكاسب سياسية او مالية .. الخ تكون أهمّ من تنفيذ الجريمة نفسها ..

ونحن العرب والمسلمون مغرمون بالتنبأ بالغيبيات والإخبار بالمستقبل حتى وإن صدرت من مشعوذين أو منجّمين وما شاكلهم ، ونستلم كل ذلك بالتصديق والترحيب ونترقبها بدقة وتركيز .

ولعل هذا الأمر وهذه الصفة استخدمتها امريكا وإسرائيل في صناعة منجّمين عرب ومسلمين وتجنيدهم بشكل مباشر - او غير مباشر - لهذا الغرض ، كالشيباني وغيره الذي ينقل أخباره وتوقعاته من مصدر مجهول يسمّيه مُعلّمي - كما يُعبّر -...!!

لا بأس ان نأخذ توقعات أمثال هؤلاء على محمل الجد ولكن لا من حيث علمهم بالغيب وإنما من حيث تجنيدهم من قبل مخابرات دول تكنّ العداء لشعوب العالم ولشعوبنا خاصة كأمريكا وابنتها المدللة

اسرائيل ..!! ولنعتبرها مصدر إختراق مخابراتي لنعرف كيف وماذا يفكر العدو .

## كن في الفتنة كابن اللبون .. كيف نقرأها ( نفهمها ) ..؟

من أروع حِكَم وأقوال الإمام علي - عليه السلام - والمشهورة على لسان كل مسلم تقريباً هو قوله ( ع ) : " كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ، لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ ".

استعمل أمير المؤمنين في حكمته هذه صورة تشبيهية من واقع البيئة العربية ، والسامع حينها يفهم جيداً وبدقة متناهية معنى ومغزى هذا الاستعمال التصويري في هذه الحكمة .

المُشبّه به هو ابن اللبون ، وهو ولد الناقة ، يقول ابن ابي الحديد ( ابن اللبون لا يكون قد كمل وقوي ظهره على ان يركب ، وليس بأنثى ذات ضرع فهو مطرح لا ينتفع به ) ، والملاحظ ان ابن ابي الحديد قد فسّر نصّاً مُفسر بنفسه ، فالامام ع لم يقل ( كن في الفتنة كابن اللبون ) وسكت وإنما أعطى علّة اختيار هذا التشبيه من خلال التكملة ( لا ظهر ... ) لتكتمل فكرة وأركان الموعظة عند السامع ..

امّا الفتنة فلها عدّة معان ولعل معنى ( الإمتحان مع الصعوبة ) ، من الجامع المشترك لهذا اللفظ ، أما ما يُقال بأن معناها البلاء او النار أو اشتباه الحق بالباطل أو المحنة فأعتقد ان هذه كلها من أدوات الفتنة وأشكالها لا أكثر ..

ويعطي أمير المؤمنين ع إحدى أهم الوصايا والأسلحة في اجتياز هكذا امتحانات صعبة ، غير أن البعض قد يقرأ الوصية بسلبية ،

فيفهم منها الانطواء والعزلة وعدم التدخل والنأي بالنفس ، وهذا الفهم ناتج عن إهمال او عدم مراعاة وصايا الشريعة الأخرى التي تدعو المسلم الى الاهتمام بأمور المسلمين وأن على العالِم ان يُظهر علمه .. إلى آخر الوصايا التي تحفّز المسلم على التفاعل الإيجابي مع مجتمعه في السراء والضراء مادام هنالك سعة وإمكانية لذلك التفاعل ..

ولهذا لا بد لنا من الخروج بفهم ينسجم وروح الإسلام الحنيف ومنطقه العام في التعامل مع الاشياء ، وهذا ما سنحاوله هنا وفي نقاط ثلاث :

1. قد تتفق معي بأن إبن اللبون يتميز بملازمته الحثيثة لأمه ولا يكاد يفارقها ويتبعها حيث ساحت أو برحت ، ولهذا فإن الحديث عندما سلب عنه صفتي الركوب والحلب فإنه قد يريد التأكيد على صفته كتابع لأمّه ، وكأن الإمام ع يقول عندما تقع الفتن التزموا بمن هو حريص عليكم ، من علماء وعقلاء .. الخ

2. قد تكون إشارة الى ضرورة عدم إقحام النفس في امتحانات تفوق الطاقة والتحمّل ، فالإنسان على نفسه بصيرة والمسلم الحاذق يستطيع ان يؤدي ما عليه من فروض وواجبات من غير ان يؤذي نفسه ودينه ، فإن الله لا يكلّف نفساً الّا وسعها ..

3. احياناً كثيرة يكون القعود هو نفسه ظهراً يُركب وضرعاً يُحلب ، فلا بد للشخص من موقف يُفشل من خلاله مخططات الماكرين والمستغلين في أوقات الفتنة ، فالمغزى هو الخروج بالفتنة بأقل

الخسائر من جانب وان لا يكون سبباً في استعارها من جانب آخر ، سواء تحقق ذلك بالجلوس او بالتحرك ..

هذه بعض المعاني التي نفهمها من هذه الحكمة والوصية العلوية ولعل هناك معان أخرى تنقدح بالذهن نتركها لقراءات اخرى

## الحب في وجوداته الثلاثة

الحب : عرّفه القدماء بأنّه ميلُ القلب أو النّفس إلى أمر ملذ ّ، وعرّفه المتأخّرون بالانفعال النّفساني ، والإنجذاب المخصوص بين المرء وكماله ..

وللحب ( مطلق الحب ) وجودات ومراتب ، أمّا وجوداته فيمكننا حصرها بثلاثة :

الأول : حبُّ الخالق للمخلوق

الثاني : حبُّ المخلوق للخالق

الثالث : حبُّ المخلوق للمخلوق

+ فالوجود الأول : يمكننا الإحساس به وكذلك نستطيع اثباته نقلاً وعقلاً ووجدانا ، وكذا نستطيع تحسس آثاره ونتائجه ..

أما نقلاً / فيكفينا كمسلمين القرآن الكريم الذي صرّح بقائمة الذين يحبُّهم اللهُ ، كالمتقين والتوّابين ..الخ ، وقائمة الذين لا يحبّهم اللهُ تعالى كالمعتدين ..

**وأمّا عقلاً / فالإنجذاب نحو الكمال الذي عرّفنا به الحب هو أمر راجح عقلاً ، ولمّا كان الله تعالى هو الكامل المطلق فحبّه لخلقه هو من تحصيل الحاصل ، وكذلك يمكن الإعتماد على استحسان العقل لبعض أشكاله ..**

**وامّا وجداناً / فيمكن القياس والمماثلة بيننا نحن البشر وبين ما نصنع ونبدع وندبر ونربي وكيف تتعلق شغاف قلوبنا به ..**

**واما الإحساس بآثاره / فنقول :**

**حبُّ الله لعبده مرتبة قربية يحصل عليها كنتيجةٍ لأعمال قام بها ، كما في النص الوارد ( وما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه ) .. وعندما يحبُّ الله عبده فسيكون كما يقول الله تعالى ( فَأَكونَ أنَا سَمعَهُ الَّذي يَسمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ بِهِ ، ولِسانَهُ الَّذي يَنطِقُ بِهِ ، وقَلبَهُ الَّذي يَعقِلُ بِهِ ، فَإِذا دَعا أجَبتُهُ ، وإذا سَأَلَني أعطَيتُهُ ) ..**

**يبقى الكلام في كيفية حب الله .. فهو بلا شك غير خاضع لتعريف الحب المخلوقي - اذا جاز التعبير - وأنّ الله سبحانه وتعالى ليس كمثلهِ شيء .**

**+ الوجود الثاني : حبُّ المخلوق للخالق**

وهو أعلى واكمل وألذّ وأشرف عمل قلبي جوانحي يصدر من المخلوق ( الإنسان خاصة ) إتجاه خالقهِ ، وهو من علل الوجود حيث جاء في الدعاء ( وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ ) .

ويقع هذا الحبّ مقدمةً لعدّة أعمال عبادية ،

ونتيجةً لأعمال أخرى ، ومادةً لإستمرار جميع الأعمال ، بل هو الدين كلّه كما في حديث الفضيل بن يسار ، وهو أحد أصحاب الإمام الصّادق(ع) ، أنّه سأل الإمام : "هل الحبّ من الإيمان؟ "، قال له الإمام الصَّادق(ع) : "وهل الإيمان إلا الحبّ؟ " ..

ونحن مدعوون الى حبِّ الله وأن يكون هذا الحبّ اخعلى وأولى من سائر علاقات الحبّ الأخرى بل في الدقة وفي درجاته العليا ينبغي أن تكون تلك العلاقات هي أشكال حب الله تعالى .. قال تعالى ( قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ) .

ونحن نحب الله لأننا فطرنا على حبّه ، وأقول فطرنا على حبّه كوننا مفطورين على حبّ الكمال وأن الله ربّ الكمال ، وعلى حبّ الجمال وأن الله اله الجمال ، وهكذا باقي الصفات المحبّبة إلينا ستجد أن الله تعالى هو إلهها وربها ..

ولهذا فإن إدراك علل الحب من جهة ومعرفة أن تلك العلل كلّها متوفرة في الخالق عز وجل وبأعلى صورها ومصاديقها هو الطريق الى خلق هذا الحب المقدس بنا ..

فاذا احببنا اي مخلوق لجماله أو كماله أو إحسانه أو قدرته .. الخ فالأولى أن نحب خالقه ومُدبّره ..

ولمن يحب الله علامات يعرف بها قد ذكرتها النصوص الشريفة ، ولمن أراد معرفتها فليراجعها ولكن نذكر ما جاء في حديث المعراج : في حديث المعراج ـ قالَ اللهُ تعالى ـ : يا أحمَدُ ، لَيسَ كُلُّ مَن قالَ : «أُحِبُّ اللهَ» أحَبَّني ، حَتّى يَأخُذَ قوتاً ، ويَلبَسَ دوناً ، ويَنامَ سُجوداً ، ويُطيلَ قِياماً ، ويَلزَمَ صَمتاً ، ويَتَوَكَّلَ عَلَيَّ ، ويَبكِيَ كَثيراً ، ويُقِلَّ ضِحكاً ، ويُخالِفَ هَواهُ ، ويَتَّخِذَ المَسجِدَ بَيتاً ، وَالعِلمَ صاحِباً ، وَالزُّهدَ جَليساً ، وَالعُلَماءَ أحِبّاءَ ، وَالفُقَراءَ رُفَقاءَ ، ويَطلُبَ رِضايَ ، ويَفِرَّ مِنَ العاصينَ فِراراً ، ويَشغَلَ بِذِكرِي اشتِغالاً ، ويُكثِرَ التَّسبيحَ دائِماً ، ويَكونَ بِالعَهدِ صادِقاً ، وبِالوَعدِ وافِياً ، ويَكونَ قَلبُهُ طاهِراً، وفِي الصَّلاةِ ذاكِياً ، وفِي الفَرائِضِ مُجتَهِداً ، وفيما عِندي مِنَ الثَّوابِ راغِباً ، ومِن عَذابي راهِباً ، ولِأَحِبّائي قَريباً وجَليساً .

+ الوجود الثالث : الحبّ بين المخلوق والمخلوق

وهذا أشهر أنواع الحبّ عند عامة الناس وأعرفهم به ، وهو إما فطري ( كحب الأب لولده ) او كسبي ( كحبّ الرجل للمرأة ) .. وحتى الكسبي منه فهو في أصوله فطرية من حيث حب الانسان للكمال والجمال .. الخ

وهذا الحبّ من النظرة الإسلامية بعضه غير جائز وبعضه جائز في تفصيل ليس هنا محلّه ..

وهذا النوع من الحب في صوره الجائزة ضروري لحياة الإنسان في هذه النشأة ، كونه يمثل سبباً لنسيج إجتماعي مُحكم ويولّد علاقات إجتماعية رصينة ، وكذا حب الانسان لبعض المخلوقات الأخرى أو الحب الغريزي بين بعض المخلوقات الأخرى يشكل حلقة مهمة من حلقات الحياة على هذه البسيطة ..

وقد يُفرّق بين ( الحب ) و ( الهوى ) .. فالهوى يُطلق على ميل الإنسان لغريزة او شهوة معيّنه واتّباعه لها وإن كانت شرّا ..

الحبُّ سلاح ذو حدين ، فهو طاقة بشرية ينبغي أن نوجهها بما ينفعنا في هذه الحياة وما بعد الممات ، من الظلم أن نجعلها مغطّاة بدون إصحار ، ومن الظلم أن نستعملها في غير مواطنها الصحيحة والحقيقية ، ومن الظلم أن نستعملها بإفراط وخارج حدودها الطبيعية المرسومة لها لأنها ستكون وبالاً علينا ..

# ست المشايخ

هي : فاطمة العاملي الجزيني ، أم الحسن ، الملقّبة بست المشايخ ، بنت محمد بن مكي العاملي الجزيني ، المعروف بالشهيد الأول .

وقد قال عنها الحر العاملي في أماليه: « كانت عالمة ، فاضلة ، فقيهة ، صالحة ، عابدة ، سمعت من المشائخ مدحها والثناء عليها ، تروي عن أبيها ، وعن ابن معية شيخه إجازة ، وكان أبوها يثني عليها ، ويأمر النساء بالإقتداء بها ، والرجوع إليها في أحكام الحيض والصلاة، ونحوها » [1] .

قيل: «الست» مخفف سيدة مع إدغام الدال في التاء، وهذا كما يقال: ستي، وستي فاطمة والحال فيها كذلك، واصلهما سيدتي . [2]

لُقبت بهذا اللقب لعلو قدرها عند معاصريها . وكنيتها أم الحسن .

وقال الشهيد الثاني ( رحمه الله ) في اجازته الكبيرة لوالد الشيخ البهائي الحسين بن عبدالصمد : ورأيت خط هذا السيد المعظم ، يعني : تاج الدين بن معية - بالاجازة لشيخنا الشهيد شمس الدين محمد بن مكي ، ولولديه محمد وعلي ، ولاختهما ام الحسن فاطمة المدعوة بست المشايخ .

ومن مآثرها أنّها وَهَبَت ميراثها من أبيها الى أخويها محمد وعلي، مقابل بعض نسخ الكتب ، وكتبت بهذا الشأن وثيقة وقع عليها عدة شهود ، كما أنَّ نص الوثيقة يكشف بلاغتها وأدبها وتأدُّبَها وحبها للعلم وتعلقها بالكتب العلمية ، وهذا نص الوثيقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الذي وهب لعباده ماشاء، وأنعم على أهل العلم والعمل بما شاء، وجعل لهم شرفاً وقدراً وكرامةً، وفضَّلهم على الخلق بأعمالهم العالية، واعلا مراتبهم في دَارَيْ الدنيا والآخرة، وشهد بفضلهم الانس والجان. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، المخصوص بجوامع الكلم الحسان، وعلى آله وأصحابه أهل اللَسن واللِسان، والساحبين ذيول الفصاحة على سحبان، وعلى تابعيهم ومن تابعهم ما اختلف المديدان وأضاء القمران . أما بعد، فقد وَهَبَتْ السِّت فاطمة أم الحسن أخويها: أبا طالب محمداً، وأبا القاسم علياً، سُلالة السعيد الأكرم والفقيه الأعظم، عمدة الفخر وفريد عين الزمان ووحيده، محيي مراسم الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين مولانا شمس المِلَّة والحقّ والدين محمد بن احمد بن حامد بن مكي (قدس سره)، المنتسب لسعد بن معاذ سيد الأوس (قدس الله ارواحهم) جميع ما يخصها من تركة أبيها في جزين وغيرها هبة ابتغاءًا لوجه الله تعالى ورجاءً لثوابه الجزيل، وقد عوضا عليها كتاب التهذيب للشيخ رحمه الله، وكتاب المصباح له، وكتاب من لا يحضره الفقيه، وكتاب الذكرى لأبيهم رحمه الله، والقرآن المعروف بهدية علي بن مؤيد، وقد تصرف كل منهم والله الشاهد عليهم، وذلك في اليوم الثالث من شهر رمضان العظيم قدره، الذي هو من شهور ثلاثة وعشرين وثمان مائة والله على ما نقول وكيل » [3] .

---------------------------

1. أمل الآمل، الحر العاملي، ج 1، ص193، باب الكنى ، رقم 213
2. رياض العلماء ج 5، ص 404
3. موسوعة الشهيد الأول، ج0 ص108

في قائمة أدناه أسماء أعلام النساء الراويات للحديث وحسب الطبقة :

القرن الخامس : بنتا الشيخ الطوسي ، آمنة العلوي

القرن السادس : أم السيد ابن طاووس

القرن السابع : شرف الأشراف بنت السيد ابن طاووس ، فاطمة بنت السيد ابن طاووس ، فاطمة العكبري

القرن الثامن : ست المشايخ

القرن العاشر : ام الحسن بنت ابن شدقم

القرن الحادي عشر : زوجة الشيخ البهائي

القرن الثاني عشر : أم سلمة

القرن الثالث عشر : آمنة القزويني ، فضة البلاغي

القرن الرابع عشر : قرائت الشيرازي ، ضيافت الشيرازي ، ثريا محسني ، السيدة نصرت الأمين

القرن الخامس عشر : أم جعفر الخطيب ، ام علاء الحسون ، زهرة صفاتي

# حداثة إسلامية تحت السيطرة

كثرت الصيحات التي تدعو الى ادخال الحداثة في المنظومو الإسلامية وعلت أصواتها بل هنالك محاولات تطبيقية لذلك من قبل غير أهل الاختصاص الديني وإن كانت الأعم الاغلب منها انتقادية أكثر من كونها بنائية - اذا جاز القول - ..!

ولو مارس فقهاء الإسلام الحداثة الضرورية لأحكام الشريعة وخطاباتها - بما تسمح به الشريعة نفسها - لما تجرأ المتطفلون بممارسة حداثة مشوّهة له . وهؤلاء - المتطفلون - لا هم ممن يجيد ذلك ، حيث ليس لديهم القدرة لا فقهياً ولاعقائدياً ... الخ لممارسة التحديث فعلياً ، ولا هم ممن يعود نقد الاسلام وتوهينه عليه بالضرر ، فهم بالجانب الآمن من ذلك وسليمو الخسارة - كما يُقال - فعلى حساب شرف الإسلام - وحاشا لشرفه من أن يُمسّ - أصبحوا دعاة وعي وعقلانية وتنوير .. .

وينبغي ان لا يُكتفى بردود الفعل على الحداثويين وما يكتبوه ، فموضع الدفاع لا ينفع بل يزيد من حجم الفجوة والتزمت لدى الطرف الآخر ، لابد من مواجهة دعوات الحداثة - المستحقة - بإجراءات فعلية وخطوات حقيقية ، فهم على قسمين تقريباً :

+ قسم من الحداثويين يرى أن المشكلة في نفسه .

**+ وقسم يرى المشكلة بالمسلمين دون الإسلام ، وهذا القسم أهون من القسم الأول بل عنده دعوات مستحقة ووجوده ضروري جدا .**

**فليس كلهم ممن غُرر به ، أو ممن يضمر سوءاً للإسلام ، نعم ، انبهارهم بالحضارة الغربية لعب لعبته ..**

**وفكرة الحداثة والتجديد ليست طارئة على الاسلام بل هي من صميم تشريعاته ، فصممت الشريعة على أساس مواكبة البشرية الى آخر عمرها ، وهذا من ضرورات الدين ، وكل من يقول غير ذلك فهو ناتج أما عن سوء فهم أو لديه عجز في التطبيق ..**

**ويمكننا هنا الإشارة السريعة الى بعض المنافذ الاسلامية النافعة في الإنطلاق نحو التجديد الضروري وتأسيس منصّات لحداثة إسلامية تحت السيطرة ، علماً أننا نؤكد على نقطتين :**

**١.يبقى الفقهاء هم وحدهم من لديهم صلاحية ممارسة التجديد والحداثة أو على الأقل إمضائها ، وكل حداثة اسلامية دون توقيع منهم سوف لا تُنظر من قبل الاخر وبالتالي لا تنفعنا في تغيير نظرته السلبية على الإسلام ، وكذلك تكون غير مضمونة الحجية في مقام العمل والتطبيق ..**

**٢. لنعلم أن التجديد قد مورس في كل جيل من أجيال المسلمين ولكن بنسب متفاوتة ، ولا زال يُمارس غير أنّ حاجته في العصور المتأخرة اصبحت أكثر الحاحاً ويحتاج الى نسبة أكبر وينبغي ان تصل الى مستوى الطفرة ..**

**ومما يخطر في الذهن من مداخل للتجديد ومنصّات انطلاق نحو حداثة مسيطر عليها كما قلنا وبحدود ثقافتنا الاسلامية المتواضعة هي التالي :**

**١. الرجوع الى القواعد الكلية : فالأصول يمكنها أن تعطي مرونة أعلى في التطبيق من تفريعاتها التي وضعت لمجالات ضيقة ومحددة ، ومرونة القواعد الكلية هذه تساعد الفقيه على التجديد بما يشمل الحكم والموضوع معاً ..**

**٢. تحرّك العُرف : فللعرف مدخلية عريضة في التشريعات الاسلامية ، فتحرّكه وتغيّره يستتبع بالضرورة تحرّك التشريعات المرتبطة به .**

**٣. مسايرة سيرة العقلاء : قريبة هذه النقطة من السابقة ، فسيرة العقلاء ايضاً لها مدخلية كالعرف وتغير القناعات - في بعض المسائل - تستتبع تغيّر في التشريعات .**

**٤. التخصّص : فالفقيه المتخصص يُؤمَل منه أن يتحرّى في مجال تخصصه كل الموضوعات المستحدثة او النظريات المتجددة الخاصة بذلك ..**

**٥. الضرورات والأولويات : فالضرورات وإن كانت أصلاً الّا انها حاكمة على كثير من الاصول ، فهي تبيح المحظورات وتعطي صلاحيةً أوسع لكل من المشرّع والمُكلّف .**

**٦. تحديث الخطاب الديني على مستوى الاسلوب او اللفظ المستعمل : وهذا من أيسر منافذ التجديد وأحوجها .**

**٧. استبدال الموضوعات وتوسّعها : اعتماد الفقهاء على المسائل المثارة من قبل المكلفين لم يعد كافياً ولا بد من أن تبادر المؤسسة الفقهية الى تغطية كل الموضوعات الحديثة فقهياً وعقائدياً ورصدها قبل ذلك ، بل يمكنهم أن يتوقعوا بعض الموضوعات على غرار الخيال العلمي ويضعوا لها التفسيرات المناسبة والاحكام اللازمة .**

**٨. الاستفادة من علم الألسنيات الحديث : فهذا المنطق الأرسطي الذي يُدرّس في الحوزات العلمية هو علم يوناني بالأصل تم الاستفادة منه في الدراسات والابحاث الاسلامية ، فلم لا يؤخذ من علم الألسنيات الغربي الحديث ما يمكن الانتفاع منه ايضا ..!**

**٩. بيان نقاط قوة الشريعة بما ينسجم ومبادىء العقلانية المطروحة : لا عقلانية أعلى من الشريعة ولكن المشكلة أننا الى الآن لم نستطع اقناع الاخر بها في هذا الجانب فضلاً عن عدم ممارسة وظيفة الاقناع اصلا .**

**١٠. ان يرتفع صوت الوسطية في الاسلام على حساب صوت التطرف ، فلو مارسنا محاولات التقريب بين مذاهب الاسلام مع المذاهب الفكرية المتنوعة لجنينا نتائج أكثر فائدة وأهمية ..**

والموضوع لا يُغطّى بمقال ، وهو قابل للمناقشة طبعاً ..

## ضعف الدين المسيحي أمام تطور الفيزياء الحديثة

## من أهم اسباب الإلحاد المعاصر

عندما بدأت العلوم الطبيعية وعلى رأسها الفيزياء بإعطاء بعض التفاسير العلمية لبعض الظواهر ، وبدأ هذا التفسير العلمي يحلّ محل التفسير الغيبي الذي كانت تتبناه الكنيسة ، اهتز عرش الإله في قلوب المجتمعات الغربية ، ثم زاد الطين بلة لديهم عندما تبجح فلاسفتهم بأن لديهم القدرة على تزويد المجتمعات بالأخلاق اللازمة للعيش بين الانسان والانسان والطبيعة بدل حصرها بالدين ..

فعلى أثر ذلك إنهار الجناحان اللذان كانت تحلّق بهما الكنيسة بالدعوة الى الاله والى دينه ، وهذان الجناحان هما ( التفسير الغيبي للظواهر الكونية ) و ( تغذية البشرية بحزمة الاخلاق التي هي اكسير العيش على هذا الكوكب ) ..

فمثلا الفيزيائي البريطاني ستيفن هوكينج ، بكل سهولة يجعل قانون الجاذبية بديلاً مناسبا لفكرة وجود اله حيث يقول : "طالما أنه يوجد

**قانون كالجاذبية ، فالكون يستطيع وسيقوم بخلق نفسه من لا شيء! الخلق التلقائي هو سبب وجود شيء بدلا من لا شيء.. ليس لزاما أن نقحم إلاها ليبدأ عمل الكون".**

**أما عالم العصبيات الأمريكي سام هاريس يقول " إنه لمن الخطأ تمامًا الاعتقاد بأنّ الدّين يوفّر الإطار العام الوحيد لأخلاقٍ عالمية " .**

**بهذه الترهات والسفاهات هزم العلمُ الحديث الكنيسة ، وهي كما ترون عبغرة عن إشكالات تافهة أمام الإسلام ، وبمقدور الاسلام أن يقلب الحقائق التي تتوصل لها العلوم الطبيعية الى أدلة وبراهين تصبّ لصالحه ، ويستطيع المسلمون من تحدّي العلم في أن يثبت لهم خطأ أي نظرية إسلامية أو فكرة علمية جاء بها او تفسيراً كونياً أو فلكياً او طبيعياً او أخلاقياً ..الخ ..**

**نعم ، نقطة ضعف الإسلام تكمن في المسلمين الذين أساءوا له وشوّهوا صورته أمام الآخرين وأمّا في عمقه العلمي فلا يُشق له غبار بحمد الله ونصره ..**

**آن الأوان الى أن يرفع المسلمون وبكل ثقة راية التوحيد وبشكل علمي وحضاري قادر على مناقشة كل دعوات الإلحاد ( الموجب ) والذين - يبرهنون - على إلحادهم بأدلة معروفة ومشخّصة ، ودعوات الإلحاد ( السالب ) وهؤلاء ممن ليس لديه دليل وإنّما كل ما لديهم هو التشكيك بأدلة وجود الإله ..**

**نحتاج الى مراكز ومؤسسات مرموقة ورصينة تتبنى ذلك وتتوغل في عمق المجتمعات والشعوب وعمق المختبرات وعمق الفكر**

الإنساني المعاصر .. ولا ننسى أن التجسيد الفعلي للإسلام في بلداننا ومجتمعاتنا أولاً هو أهم خطوة نخطوها بهذا الإتجاه وستوفر لنا الجهد وتختصر لنا أكثر من نصف الطريق ..

## من طلب العبادة تزكّى لها

ورد عن الإمام الحسن (عليه السلام) : إنَّ من طلب العبادة تزكّى لها . (تحف العقول ٢٣٦ ) ..

تزكى : لها معان كثر ، منها تصدّق ومنها تطّهر ومنها تصفّى من الصفو .. وقد تلتقي في هذه الرواية الحسنية الشريفة بمعنى واحد هو التهيئة للعبادة المعينة بما يناسبها ..

فالتزكّي للصلاة مثلاً يشمل التطهر الظاهري من الحدث والخبث ، ويشمل التطهر المعنوي كالابتعاد عن الفحشاء والمنكر التي تنهى عنهما الصلاة بصريح القرآن الكريم ، وقد يكون التزكي هو أن يصفّي المرء ذهنه من جميع الأفكار والحسابات التي قد تشغله عن الصلاة كما ورد عن بعض الصالحين في أنه لا يشتغل بالصلاة إلّا أن يُنهي التفكير بجميع ما يشغله ..

وكذا الحج ، حيث نرى أن الذي يروم الى الحج يحاول تنقية أمواله من الواجبات المالية المتعلقة وتنقية ذمته التي قد تكون مشتغلة في حقوق الآخرين ، والتجرّد عن ملابسه ما خلا الإحرامات ..

وهكذا .. فإن لكل عبادة التزكية الخاصة بها والتهيئة المناسبة .. ونختم بالصوم الذي بدأ العدّ التنازلي لأيّامه الكريمة ، فلابد لنا ونحن مقبلون على هذه العبادة أن نتزكى لها ما استطعنا ، ولعلّ المرور بشهرين فضيلين هما رجب الأصب وشعبان المعظّم هو رحمة الهية خاصة لتزكية النفس وتطهيرها من جميع متعلقاتها وشوائبها قبل الدخول بشهر الله الأكبر ، شهر رمضان ..

يروي أبو الصلت الهروي عند دخوله على الإمام الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شعبان ، يقول : فقال لي : يا أبا الصّلت إنّ شعبان قد مضى اكثره وهذا آخر جمعة فيه ، فتدارك فيما بقي تقصيرك فيما مضى منه وعليك بالاقبال على ما يعنيك ، واكثر من الدّعاء والاستغفار وتلاوة القرآن ، وتب الى الله من ذنوبك ليقبل شهر رمضان اليك وأنت مخلص لله عزّوجل .. الرواية - مفاتيح الجنان -

اللهم بلّغنا شهر رمضان ونحن في أزكى حالة نستقبل بها شهرك الفضيل وتعيننا على أداء فرائضه ونوافله لنستحق به فضائله وعطائه .. اللهم آمين

## عقدة الشرك عند الوهابية

**نوع من المرض النفسي يعيشه اتباع محمد عبد الوهاب اتجاه عقيدة التوحيد افقدهم بصيرتهم وجعلهم منبوذين داخل جميع فرق الإطار الإسلامي .. فلا يبرء من تهمة الشرك منهم أحد ..**

**ففي الوقت الذي حاربوا فيه الكثير من شعائر ومظاهر وطقوس المسلمين ، كبناء قبور الاولياء وزيارتها والتبرك بها ، بحجة انه شرك وبدعة وما شاكل ذلك .. نجدهم قد جسدوا الله سبحانه وتعالى وصوّروه وجعلوا له مكان وزمان ، ورسموا له ملامح وجوارح .. !!**

**وفق المعايير الاسلامية نجد أن الوهابية اقرب الى الكفر من باقي المذاهب الاسلامية بسبب عقيدة التوحيد المغلوطة وعقيدة النبوة الهزيلة التي يعتقدون بها ..**

عندما تشرفت في اداء مناسك العمرة ، واثناء التقاط بعض الصور داخل الحرم ، جاء الينا احد شيوخ الواهبية ( مطوّع ) ، واوقفنا واعطانا أوراقاً مطبوعة فيها روايات عن النبي ص واله مضمونها هو حرمة التصوير .. فقلت له هل تسمح لي بمناقشتك ، فقال نعم ، قلت له :

اولاً : لا يوجد تصوير فوتغرافي ايام الرسول ، والتصوير في الرواية يعني نحت المجسمات ذوات الارواح وهو لا خلاف على مبغوضيته في الاسلام ..

ثانياً : انظر الى الكاميرات الموجودة في اعلى سطح الحرم وهي تنقل بثاً مباشراً الى جميع العالم .. بالاضافة الى صور الملك قد ملأت الشوارع ، اليس هذا من الحرام لديكم ..!!

لم يجب سوى : ان أمر هذه الكاميرات ليس بأيدينا .. وتركنا خائبا ..

بعقلية بدوية اعرابية منحولة هدمت قبور ائمتنا في البقيع ، وبهذه العقلية تُدار القاعدة وداعش .. عظم الله لكم الأجر

# الشيخ خليفة

في القرن الثامن الهجري وفي أيّام سيطرة المغول على ايران وما فعلوه بالشعب الايراني من ظلم وإذلال وابادة جماعية .. وفي الوقت الذي رضي به علماء الدين الذين يمثلون مذهب السنة و الجماعة في العمل تحت إمرة حكام المغول الذين أشهروا وقتئذ اسلامهم في الظاهر في الوقت الذي ساروا به على هوى جنگيزخان بإتجاه تدمير الإسلام اخلاقياً واجتماعياً وفكريا .. انبرى في هذه الأجواء رجل دين - من ابناء السنة والجماعة - وقرر الدخول في خط المواجهة ولكن بعد أن يطّلع بنفسه على كل المدارس الفكرية القائمة في وقته لعله يجد فيها طريقاً للنجاة والتحرر ، وأسمه ( الشيخ خليفة ) ..

بدأ بمدرسة ( الزهد ) فإلتحق برجل زاهد يقال له ( بالو ) ، الاّ أنه سرعان ما اكتشف أن الزهد عنده عبارة عن : سكوت في مقابل الظلم ..!

أعرض عن ( بالو ) ومدرسة الزهد عنده وانتقل بعدها الى مدرسة ( التصوّف ) ، وتوجه تحديداً الى مدينة سمنان حيث يوجد ( ركن الدين عماد الدولة ) الذي ذاع صيت عرفانه وتصوّفه ، الّا أنه واجه خيبة أمل جديدة ، حيث وجد التصوّف عنده يعني : هروباً من مواجهة الواقع وتنصّلاً عن تحمّل المسؤولية ..

تركه وانتقل الى مدرسة ( الفقه ) ، الى شيخ الاسلام والامام غياث الدين هبة الله الحموي القاطن في ( بحر آباد ) ، لينتهل منه أحكام الدين وفق مذاهب أهل السنة لعله يصل الى ينبوع الحقيقة ..! ، ولكنه وجد ان الفقيه يتوفر على ألف مسألة شرعية في آداب التخلّي دون أن يقدّم مسألة واحدة وحكماً شرعياً واحداً يتعلق بمصير الأمة والبلاد ..!

سخط الشيخ خليفة على إسلام السلطة وأعلن رفضه لكل تلك الأطر وقرر اختيار مذهب الرفض والشهادة " إسلام علي " . قدم الى سبزوار واستقر في جامع المدينة وبدأ بالوعظ والإرشاد واستطاع أن يجمع الناس حوله وأصبح له موضع ومركز قوّة .. وهنا بدأ الدور التقليدي لوعاظ السلاطين وبدأوا يروّجون الاشاعات : هذا الشيخ يتكلم في المسجد بأمور الدنيا - هذا الشيخ يشوش على عقائد الناس ...

استطاع ذيول السلطة أن يحصلوا على فتوى ذبح مع حكم السلطان .. جاء الناس لإستماع محاضراته كالعادة فوجدوه مقتولاً في باحة المسجد ..!!

الا أنه سرعان ما نـهض تلميذه وأسمه ( الشيخ حسن الجوري ) بأعباء الأمر ، أعلن التعبئة العامة وقامت الثورة التي عمّت كل ايران معلنةً رفض كل من : الاستعمار الخارجي والاستحمار الداخلي .. وكانت هذه آخر ثورة علوية قبل التشيّع الصفوي الذي جاء بعدها بمائة عام ..

القصة أخذتها - مع التصرف وإعادة الكتابة - من كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي لعلي شريعتي ..

## وكان الثمن باهضا

سبعة عشرة قراءة قرآنية في كلمة ( مالك ) في سورة الفاتحة وهي : { مَلِكِ - مَلِكَ - مَلِكُ - مَلْكَ - مَلْكِ - مَلِكي - مِلْكِ - مَلَكَ - مالكَ - مالكُ - مالكٌ - مَلِكاً - مليكِ - مَلَّاك - بالإمالة البليغة - بالإمالة بين بين .. } .

طبعاً تشمل القراءات المتواترة والشاذة منها ، وهذا يدلّ على الاختلاف الكبير المتوقع لجميع نصوص الشريعة ، لفظاً وإعراباً ورسماً ومعنى .. الخ ، فإذا كان القرآن الكريم الذي هو أهم نص إسلامي وأكثر نص تم الاعتناء به جيلاً بعد جيل يتضمن هكذا اختلافات ، فكيف بالنصوص الأخرى من أحاديث وروايات وأخبار وتواريخ ..! وما يزيد الأستغراب هو أن هذا الاختلاف في سورة الفاتحة التي يقرأها المسلم يومياً على الأقل عشر مرات ..

وكل هذا نعزوه الى تغير المسار الإلهي الذي شرّعه الله تعالى لحفظ الدين وشريعة سيد المرسلين ، فكان من المقرر أن يكون للشريعة حفظة وقوّام ، وللقرآن الكريم ثقلٌ وميزان ، وفي الأمة ائمة

معصومون ومسددون .. الّا أن كل ذلك تُرك ، فخلافة الرسول اغتصبت ، وأصبح الدين يُدار من غير أهله ..

وهذا ما يدفع ثمنه الآن الفقهاء والمختصون بالشريعة الإسلامية على شكل جهد وعناء وذمة ومسؤولية في تحقيق المتون الشرعية سنداً ومتناً ومفهوما .. الخ ، وبالتالي دفعت الأمة الثمن باهضاً في الافتراق والتشتت والاختلاف والتخلّف والمبغوضية من قبل سائر الأمم ، فلا زالت معارك التأويل الى الان قائمة ، فالخوارج الذين ظهروا لنا قبل اربع عشر قرناً ، قد ظهروا لنا الان على شكل وهابية وقاعدة وداعش واخوان .. والحديث ذو شجون

## الزوجة العدوّ

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ } .. التغابن ١٤

عداوة بعض الزوجات لأزواجهن من الظواهر الإجتماعية التي أثبتها القرآن المجيد ، وكما نرى أنه جاء التعبير صريحاً في الآية الكريمة أعلاه على الرغم من أن التفسير الوارد عن أهل البيت عليهم السلام لهذه الآية كما في تفسير القمي برواية أبي الجارود عن الامام الباقر ع : .. أن الرجل كان اذا أراد الهجرة الى رسول الله صل عليه واله تعلّق به ابنه وامرأته وقالوا : ننشدك الله أن تذهب عنا وتدعنا فنضع بعدك ، فمنهم من يطيع أهله فيقيم ، فحذرهم الله ابناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم .. الرواية ، ومن التفسير نفهم أن الآية تسمّي منع الزوجة زوجها من ان يمارس واجباته الدينية عداوة ..! فتامل

وقد ابتلى بعض الانبياء عليهم السلام بزوجات كان ميلهنّ الى اعداء أزواجهن ، كنوح ولوط ، قال تعالى : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ } .. والاية هنا تتحدث عن الخيانة الدينية وخيانة الرسالة التي جاء بها ازواجهن وليس خيانة البغي والفُحش - العياذ بالله - ..

والزوجة العدوّ مما ابتلى به بعض ائمتنا عليهم السلام ايضا ، كالامام الحسن والامام الجواد عليهما السلام اللذان تجاوزت عداوة زوجاتهما لهما الى التعاون مع مَن نصب العداوة لهما بحيث استعملهن في دسّ السمّ والتورط بقتل إمام معصوم ..!!

ولعل السؤال الذي يقفز الى الذهن انه كيف يختار الانبياء والائمة وهم المعصومون المسددون هكذا زوجات ..!!

ومما يمكن قوله هنا ان الانبياء والائمة لديهم الدراية الكافية على اختيار الزوجة الصالحة ، بدليل زوجاتهم اللاتي انجبن الانبياء والائمة من أولادهم ، ولطهارتهن ومقامهنّ استحقنّ ان يكونن وعاءً لأشرف ما خلق الله تعالى .. الا ان الظروف المحيطة تحتم احياناً على الاقدام على هكذا خطوة لمصلحة يراها المعصوم ، كإكراه الامام الجواد ع من زواجه من - ام الفضل - بنت المأمون بمكيدة مأمونية جديدة غير خدعة ولاية العهد هدفها إيهام العامة والحدّ من ثورات العلويين ، فأجبر الإمام من هذا الزواج بحجة أن المأمون يطمع في أن يكون جدّاً لحفيد من نسل علي بن ابي طالب

، ولكن خاب مسعاه فيما أراد ولم تنجب هذه اللعينة من الامام الجواد ولدا ..

وقد تكون الزوجة العدوّ نوع ابتلاء وامتحان يبتلى به الصالحون ، وهذا ما تشير اليه تكملة الاية التي تصدرت هذا المقال : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ..

فوعد الله على العفو والصفح غفران ورحمة .. فتدبر ..

## الحج الى رسالة مكة

مبارك لكم شهر ذي الحجة ، هذه سلسلة من التعليقات على بعض فقرات الكلمة التوجيهية التي ألقاها السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره على طلبته بمناسبة سفره الى حج بيت الله الحرام سنة ١٣٧٨ هـ ، وعنوان الكلمة كان هو نفس عنوان المقال أي ( الحج الى رسالة مكة ) وكما يلي :

( ١ )

فكرة ومغزى كلمة السيد الشهيد هو أن الحجَّ حجان ، الحج الفقهي المتعارف وهو السفر الى مكة المكرمة واداء مناسك الحج المتعارفة من إحرام ووقوف وطواف وسعي ورمي وهدي .. الخ ..

وحج الى أهداف مكة ورسالتها ، حج الى مراتب مكة العالية ، مكة بمعناها الرسالي هي منهج حياة وأسلوب عيش ونظام مجتمع ..

يعتبر السيد الصدر أن الحج الثاني هو أشرف من الأول ، وأن الحج الثاني مدعوّ اليه كل أحد سواء كان مستطيعاً للحج الفقهي الأول أو لم يكن مستطيعا ..

ويعتبر السيد الشهيد أن الحج الى رسالة مكة هو نوع جهاد في سبيل الله ، وهو الجهاد الذي به نستطيع استعادة أمجاد الرسالة التي جاءت بها مكة ، وبه نستطيع تحقيق أهداف مكة ، تلك الأهداف التي سعد المسلمون بظلها ، ثم شقوا بعد تمردهم عليها .. يقول السيد الصدر أن اللقاء برسالة مكة هو لقاء مع مجاهدي بدر وأُحد وحنين ..

اذن : ونحن نعيش اجواء موسم حج استثنائي بسبب جائحة كورونا وعلى أثرها مُنع أكثر المسلمين من الحج الفقهي .. فستكون لدينا فرصة للحج المعنوي الى رسالة وأهداف مكة ..

( ٢ )

بعدّ أن بيّن السيد الشهيد الفرق بين الحج الفقهي والحج الى رسالة وأهداف مكة ، نستشعر في مكان آخر من كلمة السيد التوديعية أنه يعيش مفارقة نفسية واضحة ، ففي الوقت الذي يشدّ فيه الرحال الى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج الفقهي ، فإن رسالة مكة واهدافها يجدها ويتحسسها خارج حدود مكة وخاصةً في النجف الاشرف ، فهو يشعر أن ثمة مسؤولية كبيرة تقع على عاتقه اتجاه الشرائح التي انحرفت عن دينها او على الاقل تماهلت عن رسالتها واصبحت لا تفقه منها شيئا .. يقول قدس سره :

" هل تصدّقون أ نّه في النجف الأشرف نفسه ، في مركز الحوزة العلميّة في النجف الذي من المفروض فيه أن يموّن بإشعاعه الفكري والعلمي والروحي والديني ، أن يموّن كلّ العالم ، أو على الأقلّ كلّ العالم الإسلامي ، أو على الأقلّ كلّ العالم الشيعي ، هذا النجف يوجد فيه آلاف من الناس لا يعرفون أحكام رسالتهم ، غير منفتحين على رسالة مكّة ، ولا على مبادئ مكّة ، منجرفون مع تيّارات أُخرى ، أو جاهلون ، أو مقصّرون ، من الذي يُسأل عن هؤلاء أمام اللّ‍َ‍ه ، نحن نُسأل أمام اللّ‍َ‍ه عن منحرف انحرف عن دينه ، وعن منحرف انحرف في آخر نقاط العالم الإسلامي ، في [ ظلّ ] وجود إمكانيّات ، فكيف لا نُسأل عن منحرف انحرف في أوطاننا ، في أهلنا ، في بلدنا .. " .

فهو يقول هنا أنّ رسالة مكة تتمثل بهداية هذا العدد من الناس الذين ابتعدوا عن مبادئها ، ومن أهداف الحج الى مكة هو براءة الذمة امام الله تعالى عندما يسألنا عنهم .. ! فما معنى الاقتراب من مكة كجغرافيا في الوقت الذي نبتعد فيه عن مكة كأهداف ومقاصد ..!

لكل من الأعمال العبادية رسالة خاصة بها ، للصلاة والزكاة والصيام .. هذه الرسائل تعتبر أهداف تلك العبادات وغاياتها ، وبدونها تصبح عبارة عن قوالب فارغة وحركات غير مستثمرة بالشكل الذي وجدت من أجله ..

ولم تكن الالاف من الناس المُبتعدة عن رسالة مكة في النجف الأشرف هم السبب الوحيد الذي يمثل هاجساً للسيد الصدر ومفارقةً بين الحج الفقهي الذي يروم ادائه والحج المعنوي الذي يمثل لديه أشرف من الحج الأول واعلى مرتبة منه بل يمثل اهداف مكة ورسالتها العليا .. وانما كان الوضع العام الذي يعيشه العالم الإسلامي هو ما يُقلق السيد الشهيد الصدر ويجعله يشعر أنه أمام واجب اعظم واكبر ينبغي اداء مناسكه خارج حدود مكة الشرعية .. يقول قدس سره :

" اليوم أصبحنا نعيش في عصرٍ ، الانحراف فيه عن رسالة مكّة هو القاعدة ، والعود على رسالة مكّة هو الاستثناء ، بعد أن تغيّر وضع العالم الإسلامي .. بعد أن خرج عن كونه كياناً قائماً على أساس الإسلام ودخل عصر الاستعمار الذي بناه على أساس القواعد الفكريّة الكافرة ، صَبَغهُ بأنظمته الكافرة ، دخل هذا العصر ، وكان بدخوله في هذا العصر يواجه تحوّلاً كبيراً في كلّ وجوده ، في كلّ تركيبه العضوي ، الروحي ، الفكري ، السياسي ، الاجتماعي ، فأصبحت القاعدة فيه هي جاهليّة الغرب ، القاعدة فيه هي الانحراف عن اللَّه ، هي الانقطاع عن السماء هي التمرّد على رسالة اللَّه ، وأصبح الاستثناء فيه هو الطاعة ، الاستثناء فيه هو الالتفات إلى رسالة مكّة ، إلى قيم مكّة ومُثُل مكّة ، هذا أصبح هو الاستثناء " .

هكذا يتوسع السيد الشهيد في رسالة مكة ، وهكذا يطوف حول مشاكل العالم الإسلامي ، وهكذا يريد ان يعيش المسلم حياة السعي الحقيقي بين هموم الإسلام الكبرى .. هذا البُعد الاجتماعي والإنساني والعالمي هو الرسالة التي يقدّمها الحج للعالَم والهدف

الأسمى من مناسكه ، إن الشعائر داخل حدود مكة الفقهية ينبغي أن تترجم الى مشاعر يعيشها المسلم خارجها ، لقد عاش النبي الاكرم حياة مكة واستذوق حجها الابراهيمي ، ولكنه خرج منها مهاجراً وهو يحمل همّ أهدافها ومعاني رسالتها ، حجّها صلى الله عليه واله بإسلوب آخر في المدينة وأدّى مناسكها بطريقة ثانية فآتت أكُلَها بإذن ربها ..

( ٤ )

بعد أن بيّن السيد الشهيد البعد الاجتماعي الانساني العالمي لرسالة مكة ، يبيّن لنا في مكان آخر من كلمته ان نداء مكة بالمعنى الاكمل لها ، ونداء ابراهيم ع في الناس لحجّها المعنوي الاعم من حجّها الجغرافي ، هو نداء موّجه لكل طاقة نمتلكها وكل مهارة نحسنها وكل خدمة نجيدها نستطيع أن نخدم بها رسالة مكة واهدافها ، حيث يقول قدس سره :

" إنّ رسالة مكّة تناديكم ، تستنجد بكلّ واحد منكم بطاقة من طاقاتكم في سبيل الدفاع عنها ، وفي سبيل حمايتها ، وفي سبيل إيصالها إلى أكبر عدد ممكن من المسلمين " .

استجابةً لهذا النداء خرج ابو عبدالله في مثل هذه الايام من مكة الجغرافية الى مواقع وميادين اهدافها الرسالية ، لم يترك ابو عبدالله ع الحج وانما اختار النوع الأفضل منه .. اختار اصلاح الأمة بدلاً من اصلاح النفس " انما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي " ..

خرج الحسين ع من شعائر مكة الى موضع اراد منه أن تتحول رسالة مكة الى مشاعر يعيشها الاحرار من العالم لا تهدأ ولا تنطفي جذوتها الى ان تتحقق جميع أهدافها ..

لا نمتلك مَثَلاً ولا دليلاً على معنى رسالة مكة وأفضليتها على مكة نفسها الا خروج موكب ابي عبدالله عليه السلام من مكة ، قاطعاً إحرامه معرضاً عن مناسكها ومستقبلاً لأهدافها ورسائلها في طف كربلاء ..

لم يجد عليه السلام غير دمه ودم أهل بيته وصحبه طاقةً يستطيع من خلالها الدفاع عن رسالة مكة ، فرخّصه لها ولسان حاله يقول : إن كان دين محمد لا يستقيم الا بقتلي .. فيا سيوف خذيني ..

( ٥ )

بهذه الكلمات ودّع السيد الشهيد طلبته قبيل سفره الى حج بيت الله الحرام ، ذهب هو للحج الفقهي وكلّف طلبته أن يحجوا الى رسالة مكة وأهدافها ..

في العادة يأتي الحجاج بمعنويات مكة وآثارها ، بينما السيد الشهيد طفحت عنه تلك الآثار بمجرد عقد النية وشحذ الهمة نحو مناسك الحج ..

لنتعلم من هذه الكلمات درساً ولنتخذ منها قانوناً مفاده : أن في كل فعل او ترك ، أوجبه الله علينا أو ندبنا اليه .. رسالة وهدفاً هما أسمى من الفعل والترك نفسه ، وهما العلة

الغائية له ..

منعت جائحة كورونا المسلمين هذا العام من قصد بيت الله والشعائر المقدسة ولكن لن تمنعهم من رمزية الحج ولا من رسائله واهدافه ، رمي الشيطان الذي يوسوس بين الأخوة هو من رسائل منسك رمي الجمرات ، والسعي لحوائج الاخوان من اهداف منسك السعي بين الصفا والمروة ، وهكذا لعرفات والطواف والمبيت في منى رسائل واهداف تتعدد وتختلف بتعدد واختلاف الحاجة بين هذا الجماعة من المسلمين وتلك ..

رزقنا الله واياكم حج بيته الحرام ووفقنا الى فهم رسائل مناسكه والعمل بمضمونها لنيل اهدافها وغاياتها .. انه هو السميع المُجيب ، والحمد لله

## التوبةُ معرفة

هنالك فرق بين العلم والمعرفة ، أما العلم فهو حضور المعلومة عند العالِم ، وتختلف درجة اقتناع هذا العالم بمعلومته ، من الوهم الى الشك ثم الظن وحتى اليقين ..

أما المعرفة فهي تختلف عن العلم بأمور :

١. هي علم يقيني لا يعتريه الجهل ولا الشك ..

٢. لا ينتج عن المعرفة الا الحق ، فهي نور لا ينتج الظلمة ، بينما العلم قد يسخّر للشر ..

٣. تنعكس المعرفة على حال الشخص ، وتظهر عليه سماتها وصفاتها ، بينما قد يخالف حال العلم بالعالم ، كمرض الطبيب مثلاً ..

٤. العمل ، فالعارف عامل بما يعلم ، بينما قد يعمل العالم بعكس ما يعلمه ..

الان نأتي الى تحليل التوبة : فهي علم بالمخالفة وندم وحزن عليها وعمل على معالجتها ورفع آثارها السلبية ..

فهي اذن : علم + حال + عمل ، فهي من المعرفة .. فتأمل

والتوبة الى الله تعالى ، هي ان يُعرِض المُكلف عن مخالفة الله جلّ وعلا والندم على ذلك وطلب المغفرة منه تعالى ومعاهدته على عدم العود ..

وابن آدم خطّاء ، وخير الخطائين التوّابون ، ويسمى الخطأ اتجاه أوامر الرب بالذنوب ، وقد قسّم العلماء مصادر وأقسام الذنوب التي تصدر عن الإنسان الى اربعة أقسام نافعة في خطوات مواجهتها ومعالجتها ، وهي : ذنوب ذات صفات ربوبية ، وشيطانية ، وبهيمية، وسبعية ..

+ فالربوبية كالكبر والفخر والتجبر وحب المدح والثناء والعز ودوام البقاء وطلب الاستعلاء ونحوها، وهذه أم المهلكات .

+ والشيطانية كالحسد والبغي والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر والغش والشقاق والدعوة إلى البدع والضلالة.

+ والبهيمية كالشره والتكالب والحرص والزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام ونحوها .

+ والسبعية يتشعب منها الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ونحوها .

وهناك تقسيمات أخرى تختلف بإختلاف أساس القسمة ..

ولقد توفر القرآن الكريم وسنة المعصومين وسيرة الصالحين على شريعة كاملة لأهمية التوبة وكيفيتها وآثارها وأقسامها .. الخ /

قال تعالى { تُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ، وقال تعالى { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ } وقال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ } ..

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : { التائب حبيب الله ، والتائب من الذنب كمن لا ذنبه له } وعن الباقر عليه السلام { الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله تعالى أشد فرحاً لتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها } وقال الامام الصادق عليه السلام { إن اللع يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته إذا وجدها } وعنه عليه السلام في قوله تعالى { تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً } قال : هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً . قيل: وأينا لم يعد؟ قال: يا فلان إن الله يحب من عباده المفتن التواب ـ يعني كثير الذنب كثير التوبة .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : { إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله وستر عليه. قيل: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله تعالى حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب } .

للتوبة مواسم مهمة واهمها : شهر رمضان ويوم عرفة ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ( عليه السَّلام ) أنهُ قَالَ : " مَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ إِلَى قَابِلٍ إِلَّا أَنْ يَشْهَدَ عَرَفَةَ " . فيهما يعطي الله فرصة كبيرة لعباده بأن يقتلعوا عن الذنوب ويعرضوا عن المخالفات ليستقبلوا الخير كله وليجزيهم الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على ذهن بشر .. رزقنا الله تعالى وإياكم في يوم عرفة المعرفة والتوبةَ النصوح ، نعم الرب ونعم المُجيب

## الإسلام وجذوره الثقافية

جاء النبيُّ الأكرم صلوات الله عليه بشريعة الإسلام ، وهذه الشريعة في الوقت الذي صُممت فيه وفق مقياس تكون فيه شريعة الله في البشرية الى آخر عمرها ، فإنها ايضاً لم تنفصل عن ماضي البشرية ، بل جذور هذه الشريعة الغراء الثقافية ممتدة في ماضيها الى اول وجودها على هذه الأرض ..

وتعددت تلك الجذور وتشعبت بتشعب الثقافات البشرية ، فمن حيث الثقافة الدينية نجد ان تعاليم الرسول الأكرم صلوات الله عليه وصفات دعوته ورسالته موجودة في الديانات السابقة ، قال تعالى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ

لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف ١٥٧ ، حيث ورد في تفسير الاية ان الرسول مكتوباً عندهم بنعته وصفته ، اي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .. الخ .

وقال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى ١٣

وأمّا من حيث الثقافات الاجتماعية والموروثات الشعبية فإنّ شريعة الإسلام قد فتحت لها باباً واسعاً مادامت لا تتقاطع مع حكمة وأهداف الدين ، قال تعالى { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف ١٩٩ في الميزان : والعرف هو ما يعرفه عقلاء المجتمع من السنن والسير الجميلة الجارية بينهم بخلاف ما ينكره المجتمع وينكره العقل الاجتماعي من الأعمال النادرة الشاذة ..

واستطيع القول أن اكبر جذر ثقافي للدين هو الواقعية البشرية ، فالشارع المُقدس هو الأعرف بطبيعة الإنسان والظروف المحيطة به ، وهو الأعرف بإمكانياته ومصلحته ، وهو الأخبر بكل ما يُصلحه ويدبر أمره .. فلا يتبع المثالية المُفرطة ، ولا يتخذ اسلوب التجربة والخطأ ، وانما كل ما جاء به فهو نابع عن الحقيقة نفسها .. قال تعالى { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } ق١٦ .

لم يأت رسول الله صلوات الله عليه ببدعة دينية ولا اجتماعية وانما جاء بما يستانس له العقل الإنساني وبما جاء به جميع الرسل ..

وهذا الأمر - الأصل والجذر الثقافي للرسالة الإسلامية - يُعتبر من أفضل ابواب الدعوة الى الإسلام وأهمها على الإطلاق ، فهو يُغني عن اثبات الدين بالمعجزة ويُغني عن السيف لمن أتقنه واجاده ، خاصةً في الزمن المُعاصر الذي تبيّن فيه للجميع الأهداف العامة للبشرية والمصالح المشتركة لها ونقاط الالتقاء بين افرادها وشعوبها ..

## الديانات الإبراهيمية : مصطلحٌ فيه نظر

أوضح مَعلَم ابراهيمي هو الكعبة الشريفة في مكة المكرمة ، فهو الذي رفع قواعدَها مع ابنه اسماعيل عليهما السلام { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } البقرة ١٢٧ ، وهو الذي أسس الحج الى مكة بأمر من الله تعالى { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } الحج ٢٧ ، وكل شيء في مكة هو مَعلَم ابراهيمي ، كزمزم ، ومشعر منى ، والصفا والمروة ..

لم يذكر لنا التاريخ بأن اليهود او النصارى كان لهم شغلاً في مكة ، لم يتخذوها سكناً ولا زيارة ولا حجّاً ولا تعبّدا ، لأنها كانت خاصة بالحنيفية ، وهي مجموعة من السنن التعبدية الابراهيمية ، التزم بها اسماعيل عليه السلام وذريته من الاوصياء حتى نبينا محمد صلوات الله عليه .. وأمّا الشرك في مكة كان عبارة عن بدعة دينية

( ليقربونا الى الله زلفا ) .. وتذكر بعض المصادر أنّ حج اليهود كان الى هيكل سليمان ، وحج النصارى الى موضع ولادة المسيح ع ..

ولهذا كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يسكنون مكة وانما في غيرها ، كنجران والمدينة وخيبر واليمن .. وفكرة عدم وجود علاقة بين ابراهيم عليه السلام والديانة اليهودية والنصرانية ذات مسند قرآني ، قال تعالى { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ال عمران ٦٧ ، فالآية صريحة بأن الإسلام هو دين ابراهيم عليه السلام دون غيره ..

فلا معنى اذن لمصطلح الديانات الابراهيمية ، فالنَسب الذي يربط موسى وعيسى عليهما السلام مع ابراهيم ع لا يعني ان ديانتهم متفرعة عن الحنيفية الابراهيمية .

نعم ، يمكن أن يقال أن التوحيد هو السمة البارزة لهذه الديانات ، نقول كلامنا في الدقة يكون في الشرائع لا في الدين ، فالدين واحد لجميع الانبياء ، واما الشرائع فهناك الحنيفية وهناك اليهودية والمسيحية ، واما الاسلامية فبنيت على الحنيفية كما يُفهم من أدلته .. في تفسير العياشي في قوله تعالى ( قل بل ملة ابراهيم حنيفا ) الآية ، عن الصادق عليه السلام قال : إن الحنيفية في الإسلام .

الشريعة الابراهيمّية الوحيدة الآن هي الإسلام ، قال تعالى { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل ١٢٣

والمسألة فيها نظر ..

# ثقافة التمهيد

التمهيد لغيبة حججِ الله أو التمهيد لظهورِهما من الثقافات الدينية المهمة التي ينبغي الإهتمام بهما دراسةً وبحثاً وتأصيلا ..

فلم يكن مفهوم التمهيد لغيبة الإمام المهدي أو التمهيد لظهوره محصوراً بالقضية المهدوية وإن كانا من أهم وأوضح مصاديق هذا المفهوم ، وإنما نستطيع القول أن اكثر الأنبياء والأوصياء الذين لديهم حركة إلهية رسالية إجتماعية قد احتاجوا إلى ثقافة التمهيد الخاصة بالظهور والغيبة ..

وبهذا نحتاج الى أن نتوسّع في مصطلحي الغيبة والظهور مفهوماً وتطبيقا :

+ فبعثة النبي - أي نبي - نوع ظهور ، كما أنّ موته نوع غيبة ..

+ وهجرة النبي عن قومه نوع غيبة ..

+ قيام الحجّة بالسيف نوع ظهور في مقابل قعوده فهو نوع غيبة ..

+ استنابة الحجّة لوكلاء ونواب له نوع غيبة في مقابل تصدّيه بنفسه نوع ظهور ..

وهكذا ..

ولمّا كان لكل من ظهور الحجّة أو القائد وغيبته آثارهما على المجتمع وردود الفعل المختلفة اتجاههما سلباً وايجاباً .. كان للتمهيد دوره في التقليل من الآثار السلبية وتعزيز الايجابية لكل منهما ..

فقد تواجَه الغيبة بالإنقلاب على الأعقاب أو تحصل بعدها الرِّدة والكفر .. كما أن الظهور قد يواجَه بالمقاومة والإنكار والإعراض اذا لم يكن هنالك تمهيد مناسب للأمر ..

غاب موسى ع عن قومه أربعين ليلةً وعندما رجع وجدهم يعبدون العِجل بعد أن أضلّهم السامري ، { وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ } البقرة ٥١ { فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي } طه ٨٦ .

فالتمهيد اذن من الأهمية بمكان مادامت رسالة الحجّة ومهمّته متوقفة عليه .. والممهدون قد يكونون انبياء وقد يكونون أوصياء وقد يكونون اولياء ومؤمنين ، ولكن يجمعهم عنوان واحد هو وعي القضية المرتقبة والعلم مع الإيمان بها وتحمّل مسؤوليتها .. وقد

تشارك في التمهيد علامات كونية أو اجتماعية او غيرها في تفصيل ليس هنا محلّه ..

فكان الامام العسكري ع اماماً ممهداً لغيبة الامام المهدي عج ، وكان عيسى ع ممهداً لنبينا محمد صلوات الله عليه حين بشّر به ( وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ) الصف ٦

وهذا الأمر نفسه نستطيع تعميمه على كل حركة ايمانية صادقة في المجتمع يقوم بها عالم دين أو صاحب رسالة اصلاحية او الهية حقة ..

اللهم عجل لوليك الفرج

## المستهزئون بالإسلام .. ماذا غاب عنهم ..؟

لظاهرة الإستهزاء بالإسلام وبرسول الإسلام تأريخ طويل وجذور تمتد الى بدايات البعثة وصدر الرسالة ، وهذا ما ثبّته لنا التأريخ الإسلامي بعد أنّ دوّنه القرآن الكريم نفسه ، بل الاستهزاء ظاهرة ضاربة بعمق تأريخ الرسالات السماوية ، قال تعالى { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } يس ٣٠ ، وقال تعالى مُخاطباً رسوله { وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } الرعد ٣٢

ولازالت هذه الظاهرة ممتدة الى يومنا هذا ، فلا زال الاسلام يتعرّض لهكذا اساءات ، وعلى الرغم من ان أكثرها تعود لأعمال ومواقف فردية ، الّا أن تأييد الإساءة الأخيرة للرسول الأكرم ص وآله من

قبل الرئيس الفرنسي ماكرون تعتبر حالة شاذة وغريبة ومستهجنة أثارت ردود فعل إسلامية كبيرة ، لأنها في أدنى الأحوال مخالفة لما يتبجح به الغرب نفسه من أخلاق انسانية واحتراماً للحريات والمعتقدات ..

وبالتأكيد أنّ لظاهرة الاستهزاء والإساءة للإسلام ولنبي الإسلام أسباب ودوافع شتى ، بعضها نفسية وبعضها سياسية وبعضها وراءه كفر وجحود .. الخ ، الا أننا نريد أن نذكر هنا بعض أسباب تتعلق بجهل بعض المستهزئين وأن لديهم معلومة منقوصة عن بعض الاحكام الاسلامية وصورة مشوّهة عن نبيه صلوات الله عليه ..

فلقد غاب عن علم وثقافة الذين يطعنون برسول الله ص وآله وشريعته التي جاء بها الكثير من الأمور المهمة ، نحاول ذكرها بإختصار شديد :

١. فلسفة أحكام الإسلام وحكمتها : في العادة تكون كل الاشياء التي تبدو للوهلة الأولى غير مقبولة أو غير مأهولة .. مألوفة ومستحقة عندما نعرف شيئاً عن حكمتها وفلسفتها ودواعي وجودها ، فالدواء وقرار التداخل الجراحي للمريض لا تألفه النفس البشرية ولكن فيه انقاذ حياة المريض ، والسجن والحكم بالإعدام مما لا يطيقه الضمير الانساني للوهلة الأولى ولكن فيه حياة وسعادة مجتمع .. وهكذا هي سائر احكام الاسلام ، فلكل منها فلسفتها وحكمتها ، للحجاب فلسفته ، وللجهاد دوافعه .. الخ ، وعلى الآخر أن يطلع عليها قبل تقييمها وتصويبها إن كان منصفا ..

٢. ظروف تشريع بعض الاحكام : فلدينا الكثير من الاحكام الاسلامية هي وليدة الظروف الطارئة والمؤقتة التي مر بها الاسلام او المسلمون أو رسول الله صلوات الله عليه وكانت سبباً لعبور أزمة سياسية أو عسكرية أو اجتماعية وغيرها .. بعضها نُسخ أو

عاد الحكم الى نصابه الطبيعي وبعضها لازال تنجيزه رهين ظروفه التي تجعل من موضوعه موضوعاً موجباً لتعلّق الحكم به .

٣. أحكام الإسلام لا تُبّعض : الإسلام نظام متكامل ، وهو مركب ترابطي كما يعبّر ، لا يمكن النظر اليه من جانب دون آخر عند التقييم مثلاً ، فضلاً عن التعبّد به ، ولقد شجب القرآن الكريم التبعيض هذا ، قال تعالى { الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ } الحج ٩١ ، حيث تأتي ( عضين ) هنا بمعنى الأخذ ببعض القرآن دون البعض الآخر ، فقد يركز الآخر على نظام الضرائب في الإسلام وينسى أن تلك الضرائب تهدف الى خلق توازن اقتصادي في المجتمع وترفع من سقف خط الفقر الى حدّ يكون فيه الفقير في الإسلام هو الذي لا يمتلك ولا يؤمّن قوت سنة الى الأمام ..!! وبالتالي يستحق الدخول في ذلك النظام كمستفيد ..

٤. اسلوب التشريع وسياسة وطريقة بث الاحكام نوعاً وكما في بداية التشريع : حيث أن الوحي اتبع عدة أساليب في طريقة القاء الشريعة المحمدية - بأمر الله طبعا - ، ومنها أسلوب التدريج في تنزيل الأحكام ، فنرى بعض الأحكام كانت مخففة في بداية أمرها ثم نزل التشديد - كما في منع الخمر مثلاً - .

٥. لأحكام الإسلام حكّام شرعيون لهم مساحة واسعة في التعاطي معها : وهذه من أدق المسائل الإسلامية ، فشريعة الإسلام دائماً لها قيّم ولها مخوّل ، مهمته تارةً تكون في تفسير النص الشرعي او توجيهه التوجيه المناسب ، وتارةً يكون مشرفاً على تطبيق الأحكام الشرعية .. ولنقل هو حامي الشريعة وترجمانها الحقيقي .. ووجود هكذا حاكم شرعي كان ولا زال له بالغ الأثر في فهم أحكام الإسلام أولاً وضمان تجسيده الحقيقي في المجتمع ..

٦. الصعوبة التي وضعها الاسلام في تحديد مواضيع بعض الاحكام مما يصعّب من تنجيزها ومما يدل على وجود حكمة معينة من مجرد

وجودها ، كحكمة الردع في الكثير من أحكام العقوبات ( الحدود والقصاص .. ) ، فعقوبة رجم الزاني المحصن مثلاً رغم قساوتها الا أنها تشترط شروطاً تكاد تكون مستحيلة التحقق ، وهكذا بالنسبة لقطع يد السارق .. وغيرها .

٧. سوء التطبيق : لم تعط للشريعة الاسلامية الفرصة الحقيقية لقيادة حياة الانسان على الأرض ، فلا زالت اكثر الاحكام الإسلامية بكراً ، ولا زالت الكثير من الأحكام قد فُهمت بصورة مغلوطة ، ولا زال الإسلام بعيداً عن قادته الحقيقيين عند شريحة واسعة من المسلمين ..

٨. نقاط قوة الشريعة الاسلامية بالمقارنة مع غيرها من الشرائع ( السماوية والأرضية ) : وهذه من النقاط المهمة ، فالمقارنة بين الاسلام وغيره من الشرائع والتشريعات كفيلة بإعلاء كعب الإسلام خاصة عندما تكون مقارنة نزيهة وشاملة وحقيقية ..

٩. واقعية أحكام الاسلام وعدم خضوعها لأهواء نفسية أو مصالح مؤقتة أو لإرضاء جماعات هنا وهناك ..

١٠ وأخيراً : لم تصل للآخرين ولا حتى لكثير من المسلمين الشخصية الحقيقية الإلهية لنبي الاسلام وقادته من الخلفاء الشرعيين ، لا زالت الشخصية المحمدية مجهولة الحقيقة للأسف الشديد ، ولا زالت العقيدة اتجاهها مهتزة من بعض الجوانب ، فإستثنائية الرسول الاكرم في إنسانيته وأخلاقه وسائر حركاته وسكناته هي الحلقة المفقودة في دراسة هذه الشخصية العظيمة وهي السر وراء الكثير من الاساءات نحوه .. لم تفهم الشخصية المحمدية ولم تتخذ قدوة من قبل المسلمين كما أمر الله تعالى ذلك في قرآنه المجيد وبالتالي لم تجسد في الواقع ولم يطلع عليها

الآخرون ، ولو استطاع المسلم أن يكون نسخة ولو متواضعة من محمد لرأينا الناس يدخلون في الإسلام أفواجا ..

وما يهوّن الخطب أن هناك وعداً الهياً يخص هذه الفئة المستهزئة ، وهو قوله تعالى { إنا كفيناك المستهزئين } ..

## المستهزئون بالإسلام ، ماذا غاب عنهم ؟

## القسم الثاني

ذكرنا في القسم الأول عدداً من الجهالات اتجاه الإسلام قد إبتلى بها المستهزئون بهذا الدين الحنيف وبنبيّه صلوات الله وسلامه عليه ، وهنا نريد أن نضيف لهم :

أنَّ الإسلام يعيش محنة الانحراف الداخلي عن الخط الذي رسمته السماء له فيما يخص الإمتداد النبوي والخلافة الإسلامية منذ اكثر من ١٤٠٠ سنة ، مما أثّر كثيراً على منتجات ومخرجات هذا الدين

وانطباعات الآخر عليه ، وقد يحمّل المستهزء الإسلامَ هذا الإنحراف ، وهذه جهالة مركبة منه لعدم اطّلاعه على تفاصيل هذه المشكلة وكيف أن الإسلام استكمل ما عليه من إجراءات لازمة بهذا الخصوص ولكن بعض المسلمين انحرفوا عن قصد وعمد عن خط ما رُسم لهم ، وهذا ما لا تتحمله الرسالة ولا الرسول ص وآله بصريح القرآن { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إنما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } الانعام ١٥٩

وتأسيساً على ذلك ، فقد غاب عن هؤلاء أن الإسلام يعيش ومنذ زمن طويل محنة الاغتراب الداخلي ، يعيش محنة الدعاوى ، ويعيش محنة الهوية الضائعة ، { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } الحجرات ١٤

مسلمون بلا محتوى اسلامي ، ودول اسلامية تدين بقوانين شرقية وغربية .. فعند المحاكمة لا يثبت على الهوية الاسلامية الحقيقية ممن يتصف الان بالاسلام من افراد وجماعات ودول الا الاندر من الشمع الاحمر - كما يقال - ..

ولو أردنا تحميل أنبياء الديانات أخطاء أممهم لاستلزم ادانة كل الانبياء وخاصة نبي الله موسى ونبي الله عيسى عليهم السلام لما ارتكبه ولا زال يرتكبه المتلبسون بتلك الشرائع على مستوى افراد وشعوب وحكومات ..! فلمن نحمل مجازر اليهود بحق الفلسطينيين ، ولمن نحمل محارق اليهود ولمن نحمل القتل الذريع في الحربين العالميتين ، ولمن نحمل اخطاء امريكا وقتلها وتجويعها لمئات

الملايين من البشر .. ماهكذا تقاس الأمور وليس هذا النصاب العلمي الحقيقي للتقييم ..!

المنهج الصحيح للجميع هو تنزيه الشرائع السماوية ، وتنزيه جميع الانبياء والرسل عمّا يرتكبه أتباع تلك الشرائع والرسل ، فالبشرية تعيش الآن على هامش التدين ، والشرائع عندها عبارة عن تاريخ ، وما تبقى من أحكامها تتعامل معه كحفريات قديمة للأسف الشديد ، مما يدل على انقطاع شبه تام عن السماء .. وهذا ما يُنذر بعواقب وخيمة .. والكلام ذو شجون ..

## الإيمان بالله

يبقى الإيمان بالله مسكنه القلب ، وما العقل إلا باباً من أبواب القلب ومنفذّاً من منافذه ، ففي الوقت الذي يبقى فيه العقل مجادلاً حتى لنفسه مشككاً حتى في نتائجه وتحقيقاته وأن من قابلياته بل من وظائفه التشكيك حتى بالبديهيات والمسلّمات ، يشكك حتى في أبسط عملية رياضية ( ١+١ ) فإنّ في التشكيك بما يكون مصدره ومورده القلب يكون بالنسبة له - للعقل - أولى .. !

فمهما جئنا بالأدلة والبراهين والإثباتات العقلية والحسية على وجود الله فإن حصّة عالم الغيب من هذه الحقيقة كبيرة ولا طريق

لأختراق تلك الحجب التي تفصلنا عن الغيب غير عيون ونور القلب ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ) الحج ٤٦

سيفقد الإيمان بالله أهميته ودرجته وثوابه بالنسبة للإنسان والمفاضلة به من قبل الله تعالى اذا كان يُستحصل جميعه عن طريق المعادلات الرياضية والتجارب الحسية والقوانين التجريبية ، فمادام لقلب وروح الإنسان النسبة الأكبر في عملية الإيمان بالله فإنه يكون هنالك ثواب وتفاضل ودرجة وتكامل واستحقاق بين بني آدم .. فتأمل

المشكلة كل المشكلة ليس في اثبات وجود الله وانما في الاطمئنان لذلك ، والإطمئنان محلّه القلب ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ... فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ) البقرة ٨ ، ١٠

جعلنا الله وإياكم من أهل قوله تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } الرعد ٢٨

## من سنن الهزيمة

الهزيمة بعد الإعجاب بالكثرة سنّة الهية ، وهذا ما تتحفنا به الاية المباركة { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ } التوبة ٢٥ ، حيث كان عدد المسلمين في معركة حنين* ولأول مرة اكثر من اثنا عشر الف مقاتلا ، وهو عدد كبير مقارنة مع الحروب السابقة التي خاضوها وانتصروا بها وهم بضع مئات ..!! ، كمعركة بدر مثلاً ..

هذا العدد الكبير من المقاتلين في معركة حنين ، ويرافقه ترسانة وذخيرة قتالية كبيرة ، جعل بعض المسلمين يعجبون بأنفسهم ، يطمأنون للنصر بفعل عددهم وعدتهم ، أنساهم بأن الله تعالى هو الآذن بالنصر ، تناسوا ان معادلة النصر لا تعتمد دائماً على الحسابات المادية .. ولهذا دخلوا المعركة بهذه العقلية وبهذه النفسية ، تجردوا عن تلك الروحية التي كانوا يتمتعون بها سابقاً وهم قليلون وأذلة من حيث العدد والعدة ..

فعلى اثر ذلك فرضت السنّة الالهية نفسها على اجواء المعركة ومجرياتها ، وخسر المسلمون الجولة بل ضاقت عليهم جهات الأرض وسبل الفرار من المعركة ، فلم يصمد مع الرسول ص وإله الا بعض الصحابة .. !!

ونجد القرآن الكريم في مكان آخر يعزز لنا الفكرة ، ويؤكد لنا ان النصر لا يعتمد على العدد والعدة ، هذا ما حصل مع داوود النبي في معركته مع جالوت : قال تعالى { .. فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ .. } البقرة ٢٤٩ وما بعدها .

هذا درس عظيم يجب ان نتعلّمه نحن المسلمون في الحياة ، فليكن اعتمادنا في مهماتنا وتخطيطاتنا على الله تعالى لا على قوتنا او اموالنا او عددنا او ذكائنا .. فما النصر الا من عند الله ..

---

* حنين وادي بين مكة والطائف ، اتجه اليه جيش المسلمين لمحاربة هوازن ، وكان الكافرون في تلك المرحلة قد تجهزوا في الوادي للهجوم على المسلمين

## اتفاق مؤقت مع العلمانية

سببان مهمّان وراء بروز وتعملق العلمانية في الغرب ، هما ؛ محدودية الدين المسيحي كشريعة للحياة من جهة والأخطاء الاجرائية التي وقعت بها الكنيسة اتجاه الطبقة المثقفة من المجتمع وخاصة شريحة العلماء والمفكرين والفلاسفة منهم من جهة أخرى .

مارس القائمون على الكنائس في أوروبا ولعقود دكتاتورية مقيتة مع مجتمعهم .. دعوا الى الرهبانية ، عاقبوا صاحب كل فكرة لا تنبثق من داخل أسوار صوامعهم ، أرادوا أن يضعوا لكل شيء تفسيراً كنسياً غيبياً وإن كان من عنديات أنفسهم ، جمعوا بين السلطة الروحية والسلطة المجتمعية جمعاً ليسوا أهلاً له .. مما حدا بهؤلاء المثقفين الكفر بالدين كلّه ومحاولة خلق مذهب علماني - اي دنيوي حسب اهم تعريفاته - تُقصى فيه الكنيسة وجميع الأديان ويُتخلي من خلاله عن كل ما يرتبط باللاهوت وعالم الغيب ، بل اعلن بعض فلاسفتهم أن الإله قد مات ..!!

ولهذا نجد أن فصل الدين عن الحياة وتنصيب العقل مرجعاً أعلى لها - أي الحياة - ونبذ الأخلاق الدينية - مصداقاً أو فلسفةً - اصبحت من أهم ملامح العلمانية الغربية والتي تطورت فيما بعد من قبل بعض معتنقيها الى الحاد ومعاداة للأديان والمتدينين على وجه الخصوص ..

ما يهمنا كمسلمين هو السبب الأول الذي ذكرناه وهو محدودية الشريعة المسيحية وعدم قدرتها على قيادة الحياة ، فليس للعلمانيين الحق في وضع الإسلام والمسيحية في خانة واحدة من هذه الناحية ، فالاسلام دين الحياة ، وهو جاء ديناً خاتماً للأديان ، وما جاء القران بعد الأنجيل الا تأكيداً على هذه الحقيقة المتمثلة بمحدودية الدين المسيحي وأنه دين مرحلة ليس الا ..! قال تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ .. } المائدة ٤٨ ، وقال تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا } الفتح ٢٨

فلنتفق مع العلمانيين بهذه الجزئية ولنقبل منهم هذا النقد ولنُفهمهم ان الاسلام جاء بالشريعة الالهية الكاملة التي تغطي كل شؤون هذه النشأة ، قال تعالى {.. ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ .. } المائدة ٣٨

ولا يتوقف الأمر عند ذلك بل لا بد من إثبات ذلك لهم بكل ما أوتي للحق سبيلا ، اثبت الإسلام نفسه مع العقول الجاهلية والمتحجرة ، فكيف لا يثبت نفسه في عصر العلم والفهم والتنوير ..!!

نعم ، يبقى السبب الثاني هو محلّ الإشكال لنا بسبب الاخطاء التي وقع بها المسلمون ولا زالوا للأسف الشديد ، فلطّخنا سمعة الإسلام بتهمة الإرهاب وتهمة التشدد وتهمة عدم مراعاة حقوق الانسان وغيرها وهو منها براء ..

عندما ندقق بعمق نرى ان العلمانية تريد أن تبعد المسلمين عن الدولة والحياة لا الإسلام ، تريد أن تبعد المتدينين لا الدين ، وما علينا هنا إلا أن نبحث عن النماذج الإسلامية التي تغير من هذه النظرة وتعكس على الاسلام انطباعات جيدة .. وهم موجودون في تاريخ هذا الدين كالنجم والقمر في سماء ليل الإسلام لمن أنصف نفسه وأنصف الحقيقة ، ولا يخلوا عصرنا من هؤلاء ايضا في تفصيل ليس هنا محلّه .. قل ان هدى الله هو الهدى ..

## مدخل لإكتشاف المذهب الإداري في الإسلام

إن الكثير من الأنظمة المتّبعة في مؤسساتنا الرسمية وغير الرسمية هي عبارة عن أنظمة وعلوم مستوردة من الخارج وضعها الآخرون بما ينسجم وطبيعة مجتمعاتهم أو خلفياتهم الدينية والحضرية وكذا

**أعرافهم وتقاليدهم .. الخ ، كالنظام الإداري والنظام المحاسبي والاقتصادي والتجاري .. الخ ، والمفروض أن تكون لنا أنظمة خاصة بنا تنسجم معنا ولا أقلّ أن يتم تعديل تلك الأنظمة والعلوم بشكل لا يتقاطع مع ديننا أو حضارتنا أو أعرافنا وتقاليدنا وأهدافنا التي نسعى اليها الخ ..**

**والنظام الإداري من بين تلك الأنظمة المستعملة عندنا وهو من صنيعة غيرنا ، فهذا النظام المتّبع أو الذي تحاول الدولة تطبيقه هو نظام عسكري في الأصل وأنّ أهم اساسياته ولدت من رحم إدارة الحروب الناعمة وغير الناعمة بين الدول الكبرى ..**

**فالمطّلع على النظام الإداري المعمول به الآن سيجد أن البيروقراطية العسكرية واضحة فيه ، فشخصية المسؤول المقيتة والمتجبرة هي المتسيّدة ، والإعتماد على أسلوب العقاب أكثر من الثواب في داخل المؤسسة وإطاعة الأوامر الصادرة بدون حق الإعتراض والتظلّم إلا بشكل خجول وصوري وكذلك الأهداف المرسومة التي تبتني على رضا سلسلة المرجعيات وليس العملاء والمستفيدين من تلك المؤسسة .. الخ**

**ولهذا سنحاول هنا تسليط ضوء على الإدارة في الإسلام ولكن بعد بيان :**

**1. أنّ الذي يوجد في الإسلام هو مذهب إداري إسلامي لا العلم التخصصي الرياضي بالمعنى الدقيق ، والمذهب أوسع من العلم ومنه يستطيع المتخصصون وضع وإنتزاع علم الإدارة الخاص بتلك المؤسسة أو تلك المدينة .. والمذهب هو عبارة عن خطوط ومبادئ وأخلاقيات عامة تعتبر دستوراً تشتق منه القوانين واللوائح الخاصة ..**

**2. عندنا شحّة في التجارب الإدارية في الإسلام بل أكثرها تجارب فاشلة لأن القائمين عليها كانوا ليس أهلاً لذلك ..**

**3. سنتّبع المنهجية التالية : سنستعرض علم الإدارة الموجود والمعمول به ثم نعمل على اثبات وجود أهم مبادئه وإيجابياته في الإسلام وعلى أعلى مستوى ثم نعمد الى طرح ما تقدّم به الإسلام من خطوات عليه ..**

**♤♤**

**□ هل يوجد مصطلح إسلامي يعطي معنى ومفهوم مصطلح ( الإدارة ) .. ؟**

**عندما نطّلع على التعاريف المتعددة الموضوعة للإدارة ومنها مثلاً هذا التعريف : ( هي استخدام إمكانيات متاحة للوصول إلى أهداف مقصودة وفق منهجية معينة ومحددة ) ، سنجد أن لفظ ومفهوم ( التدبير ) المستعمل في النصوص الشرعية الإسلامية هو الأقرب والأنسب لها من بين باقي الألفاظ والمصطلحات بل أن هذا اللفظ يعطي معنى الإدارة وأكثر مما يتصل بروح المعنى المطلوب ومقاصده .**

**فالتدبير كما يعرّفه صاحب التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ( هو تصيير الشيء ذا دبر وجعله ذا عاقبة بأن يكون الشيء على عاقبة حسنة ونتيجة مطلوبة ) .**

**ويكفي في شرف هذا المصطلح انتسابه إلى الله تعالى :**

* إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ ..

* يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ

والفرق واضح طبعاً : فإن تعريف الإدارة الذي وضعوه لا ينطبق على معناها اللغوي لأن الإدارة في اللغة تعني ( جعل أمر في دور وذا دائرة وهو كناية على الاستحكام وجعله في جريان متصل ) فهو ناظر إلى جهة واحدة من معاني الإدارة ولا يستوعب كل مهامها ، وعليه فإن هذا المعنى لا يساوي التعريف الذي وضعوه له بينما نجد انطباقه تماماً على لفظ ( التدبير ) الذي فيه يتساوى المعنى اللغوي والإصطلاحي تماما .. فتأمل

تنويه : لقد جاءت إحدى مشتقات لفظة الإدارة في القرآن الكريم في آية ( إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ ) .. وتعني : تجعلون التجارة جارية بالدوران بينكم ، وعليه لا تعني المعنى المقصود من الإدارة ..

ونحن هنا لا ندعوا إلى تغيير المصطلح بل نريد أن نكتشف اللفظ والمصطلح المقابل له في النصوص الإسلامية والمناسب له كي نستطيع متابعة اكتشاف ودراسة باقي التفاصيل المتعلقة بالموضوع المبحوث من وجهة نظر اسلامية ..

يبتني علم الإدارة المعاصر على عدة مقوّمات ويعمل على عدة إجراءات بعضها ثابت لا يتغير وبعضها يتغير بتغير النشاط الذي تقوم عليه الإدارة كأن يكون النشاط تجارياً أم صناعياً أم مؤسسة علمية أو تربوية أو سياسية ... الخ

ومن تلك العناصر والحلقات المهمة في الإدارة : ( التخطيط - التنظيم - التوظيف - الرقابة الداخلية - قانون الثواب والعقاب )

ولو أخذنا كل واحدة من هذه العناصر لوجدنا أن لها أساساً تنظيرياً في الإسلام وآخر تطبيقي عملي وبشكل تتم فيه إحاطة ذلك العنصر إحاطة تامة وكاملة ..

+ فالتوظيف مثلا والذي يعني بإختصار : إختيار الشخص المناسب في المكان الإداري المناسب . نجد تأصيله تاما في القرآن الكريم ..

- فاختيار رجل الدولة في الجانب المالي والاقتصادي مثلا يحتاج إلى شخص حفيظ عليم كما قال يوسف ع : ( قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ) ..

- واختيار العامل والأجير تحتاج إلى قوي وأمين كما وصفت إحدى بنات شعيب ع موسى ع : ( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) ..

- وكذلك المناصب الإلهية مشمولة بقانون التوظيف حيث ينبغي أن يكون صاحبها بعيداً كل البعد عن الظلم بجميع أنواعه سواء كان ظالماً نفسه أو للآخرين : ( وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ) ..

- اختيار المستشارين ، فنلاحظ مثلاً في عهد أمير المؤمنين ع لمالك الأشتر حين ولّاه مصر : ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

وهكذا سائر المبادئ والمقوّمات الأساسية نجدها موجودة في الإسلام ولا نستطيع تسطيرها هنا لغرض الإختصار ..

فالخطوة الثانية في ملّخص بحثنا هذا وبعد أن حدّدنا المفهوم الإسلامي المرادف للإدارة في المنشور السابق نكون قد أشرنا إلى توفّر أساسيات الإدارة في الإسلام ولكن هذا الشيء ليس غريبا ، فنحن نعلم ونعتقد أن الإسلام فيه كل شيء نافع وصالح للبشرية بأعلى مستوياته .. ولكن المهم نريد توضيح نقاط الإفتراق أو الإرتقاء التي تكمن في الإدارة الإسلامية عنها في الإدارة المستوردة لنا من حظارات أخرى بحيث تكون لدينا شخصية إدارية مستقلّة وخارطة واضحة لها ...

♤♤

إن نقطة الإفتراق الرئيسة في الإدارة الإسلامية والتي تميّزها عن باقي المذاهب والفلسفات الإدارية الاخرى وتعطيها شخصيتها المستقلّة ومن ثم تنعكس على باقي أسسها وتفريعاتها وبالتالي تطبيقاتها هي فلسفة (( التخويل )) ..!

والتخويل يعني أن لا إدارة مستقلة لأي أحد ، لا على نفسه ولا على عائلته ولا على مجتمعه ولا على مقدّرات الطبيعة .. الخ ، فالإدارة المطلقة والتدبير المطلق هو لله جل وعلا وبالتالي تكون تلك الإدارة المقتطعة هي تخويل من المدير والمدبّر الحقيقي والمطلق أولاً وأنها جزء من إدارة كبيرة وحلقة من مجموعة تدابير يقوم بها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون ..!!

وهذا المفهوم واضح وجلي ومتأصل في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية ، وجاء تارة على نحو ذكر التخويل بصراحة وتارة على لفظ الإستخلاف وتارة يفهم من مجموعة مفاهيم الإسلام وأحكام الشريعة أنّ الإنسان هو خليفة الله في الأرض وقد خولّهُ على بعض الأمور :

- قال تعالى ( وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظهوركم ) .

- قال تعالى ( فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) ..

- قال تعالى ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ) ..

والكثير من الآيات الكريمة نتركها اختصارا ..

وتأسيسا على ذلك ينتج لنا أمران مهمان في المذهب الإداري في الإسلام :

الأمر الأول : الإنسان لا يستطيع أن يقوم بمسؤولية إدارة كل شيء ..!! فبعض الأمور محصورة بالله تعالى وبعضها محصورة بعدد

قليل من البشر وهكذا وحسب مأذونية التخويل والإستخلاف العامة .

الأمر الثاني : أنّ المخوّل والخليفة مقيّد بشروط وأحكام من قام بتخويله وإستخلافه وعليه أن لا يجتهد من نفسه في إدارة ذلك المفصل الإداري إلا أن يسمح له المدير والمدبر المطلق لذلك الإجتهاد وتلك الفسحة من إدارة الأمور .. والوكيل لا يخرج عن حدود الأصيل ولا يعمل ضدّه ولا يتعدّى حدوده ولا يستبيح حرماته .. الخ

هذه هي النقطة الجوهرية في المذهب الإداري الإسلامي وعليها تبتني أسسه وأصوله وفروعه ..

كان هذا مدخلاً لدراسة موسّعة نأمل أن يقوم بها أهل التخصص وأهل الخبرة لكي يضعوا لنا بديلاً إسلامياً مناسباً في الإدارة .. والحمد لله رب العالمين

## الحقائق بين الموضوعية والإسقاطات النفسية

لعله من أول المعضلات التي يواجهها الانسان في قرائته وتفسيره للحياة وأفكار الآخرين وعموم البحث عن الحقائق هي اسقاطاته النفسية والفكرية على الأشياء المقروءة والمبحوثة من قبله ، فلكل انسان قاعدة بيانات نفسية وعقلية وروحية خاصة به سواء ما اكتسبها عن طريق ظروفه التي عاشها أو قناعاته التي زُرعت به بشكل ارادي أو لا ارادي او عن طريق تركيبته الوراثية وطبعه وسجاياه غير المكتسبة ..

كل ذلك عبارة عن قنوات وسائطية بينه وبين الحقائق وتعتبر نقاط ضغط رهيبة تدعو صاحبها الى التشتت باتجاهاتها المختلفة ، وكلما

كانت تلك القنوات ونقاط الضغط غير سليمة كلما كان تعاطي الانسان مع الحقائق غير سليم ايضا ..

فالموضوعية وتجرد الفرد عن عقده النفسية والتخلي عن قائمة بياناته ومتبنياته سواء في عقله الواعي او اللاواعي وتجاوز طبائعه وسلاسل جيناته التي تؤثر على طريقته في التعامل مع الاشياء .. كل هذا صعب مستصعب وليس بالأمر الهيّن ابداً ابدا ..

ولهذا يدعو علماء النفس الى عدم اتخاذ القرارات المهمة في بعض الحالات كساعات الغضب مثلاً لأنه سيكون قراراً قد أسقطت عليه حيثيات الموضوع الذي غضب من اجله وسيكون غير محايد بلا اشكال وقد يضر الانسان نفسه قبل غيره ، وهكذا في حالات انفعالية اخرى ..

وأشار القرآن الكريم كثيراً الى هذه المشكلة ( الاسقاطات ) وبنواحي شتى منها مثلا :

* اسقاطات الآباء على الأبناء : قال تعالى ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ) ..

* اسقاطات القلب غير السليم : ( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ) ..

* اسقاطات المادة والعيش المادي المحض : ( وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ) ..

* اسقاطات بعض العقد الاجتماعية كالغنى والفقر : ( وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ

وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ) . فالغنى عندهم رمز وخاصية النبلاء .

* اسقاطات غرائزية ، كالطعام : ( إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ) .

وغيرها الكثير ، وكل هذه التشبثات والاسقاطات تعتبر حُجباً على العقل والقلب والبصيرة ، قال تعالى ( .. لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ) .

من هنا أصبحت العصبية والأنانية وعلى غرارها الطائفية والقومية والعنصرية .. الخ أموراً غير مرغوب بها لأنها تؤسر صاحبها وتجعله يفكر ويعتقد ويقرر من خلالها بغض النظر عن علّاتها ..

ولا بد من ذكر اسقاطات اخرى ايجابية ومهمة لا يستغني الانسان عنها بل هي مقوّم لإنسانيته ، وعلى رأسها الفطرة السليمة :

فالفطرة التي جبلنا الله عليها هي التي تدعونا الى الاعتقاد بالله والإيمان بالغيب والتمسك بالدين ، قال تعالى ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ) ، وهذا مما (( أكدته الأبحاث عند دراسة الجينات المسئولة عن السلوك . أكد دين هامر رئيس وحدة أبحاث الجينات بالمعهد القومى للسرطان بالولايات المتحدة أن الإنسان يرث مجموعة من الجينات التى تجعل لديه إستعداد لتقبل المفاهيم الدينية و الأمور المتعلقة بالألوهية و من أهم هذه الجينات جين VMAT2

و هو المسئول عن تكوين ناقل كيميائى بالمخ و هو المسئول عن تحديد مستوى عدد من الناقلات الكيميائية التى تنظم عمل المخ ( السيروتونين-الدوبامين-النورأدرينالين ) كما أن له دور فى توجيه مراكز المخ المسئولة عن المشاعر الروحية و المفاهيم الغيبية )) ..

وهكذا فقس على كل ميولنا الفطرية الأخرى ، كالجمال والحسن والأخلاق .. الخ ، فنحن إذن بين جهتين من التجاذبات والخيار يعود لنا أيهما نسلك ( إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ) ..

## عالم المفهوم أكبر من عالم المصداق

المفاهيم في هذا الوجود أوسع دائرة من المصاديق ، وليس لكل مفهوم في عالم المعنى مصداق خارجي محسوس في عالم المادة ، بل المعاني التي لها واقع خارجي قد تكون نسبتها الى تلك نسبة المحدود الى اللامحدود ، قال تعالى ( قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ) ..

ولهذا فإنّ المفاهيم التي ليس لها مصداق خارجي قد عُوّضت بامكانية وقابلية التصديق بها بدون مصداق ، والتصديق بالنسبة

لنا عبارة عن قابلية واستعداد بموجبه يُذعن العقل لبعض الاشياء وتطمئن النفس لها ويعمّ السكون اتجاه حقيقتها رغم وقوعها خارج دائرة محسوساتنا ومشاهداتنا ..

قابلية التصديق المودعة بنا لها منافذ كثيرة احداها واسهلها بالنسبة لنا هي المصاديق المحسوسة الخارجية ، غير انّ هذا المنفذ يعاني من مشكلتين :

الاولى : لا يسع لكل الامور في عالم المفهوم والمعنى وانما يقتصر على نسبة ضئيلة جداً مما يضطر صاحبه الى التورط ببعض الاوهام والتخيلات .

الثانية : لا يرقى الى مستوى عالي من المفاهيم وانما يقتصر على مستويات متواضعة ومتدنية ..

ولهذا وقع الكثير من اصحاب المذاهب الفكرية والعقائدية وغيرها في هذا الخلط وحسبوا ان منفذ المصداق هو الطريق الوحيد لتصديق عالم المعنى وتركوا باقي المنافذ التي تسعه كماً وتسعه نوعا ..

ومن هنا اصبح الذين يؤمنون بعالم الغيب وما وراء الطبيعة اقدر على فهم هذا الكون واوسع ادراكاً للحقائق بسعة ذلك الافق الذي اطلّوا عليه بمنافذهم الذهنية الواسعة والكثيرة ..

فالوجود عالمان ، عالم الغيب وعالم الشهادة ، له رب واحد وخالق واحد ( هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ) ..

## الذنوب ، طاقة كونية ضارة

تحدَّثت الكثير من الآيات والروايات عن أضرار الذنوب على الطبيعة التي نعيش فيها وتأثيرها السلبي عليها ، قال تعالى ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) الروم ٤١ .

يقول صاحب الميزان في تفسير هذه الآية :

والمراد بالفساد الظاهر المصائب والبلايا الظاهرة فيهما الشاملة لمنطقة من مناطق الأرض من الزلازل وقطع الأمطار والسنين والأمراض السارية والحروب والغارات وارتفاع الأمن وبالجملة كل ما يفسد النظام الصالح في العالم الأرضي سواء كان مستنداً إلى إختيار الناس أو غير مستند إليه ، فكل ذلك فساد ظاهر في البر أو البحر مخل بطيب العيش الإنساني ، وقوله : ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي بسبب أعمالهم التي يعملونها من شرك أو معصية .. انتهى

وفي آية أخرى ، يقول تعالى ( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) ..

فالإرتباط واضح بين الذنوب والخلل الكوني الحاصل وبالتالي صحَّ أن يُقال بأن الذنوب هي ( طاقة كونية ضارة ) ..

فكما أن هناك طاقة كونية ضارة بالإنسان تأتينا من الفضاء الخارجي كالإشعاعات المؤيّنة والتي يقوم الغلاف الجوي بحجب أكثرها كذلك الإنسان يبعث إلى الفضاء ومنها الطبيعة التي يعيش بها طاقة تخلخل من النظام وتغيّر به سلباً ..

يبقى الحديث عن تفسير هذا الإرتباط بين الذنوب والظواهر الكونية الضارة من الناحية العلمية وهو بالتأكيد أقرب إلى علم الفيزياء منه الى الإختصاصات الأخرى لو حاولنا تفسيرها تفسيراً مادياً بحتاً ،

وأعتقد أن موضوع تأثّر الأشياء بالوعي ، وأن الوعي شكل من أشكال المادة .. من الأوراق البحثية الواعدة .

غير أنّ ثمّة رأي آخر يشترك فيه العلم المادي مع الدين والذي يفسّر الملائكة بأنها قوانين القوانين ، بمعنى أن القوانين التي نشهدها في عالمنا تقوم بأداءها ملائكة ، فمثلاً حركة الرياح وتساقط الأمطار وحدوث الزلازل .. الخ ، فنحن نعلم منها قوانينها الظاهرية غير أن الملائكة هي وراء أداء وتنفيذ تلك المعادلات المادية .. وبما أن الملائكة هم نوع خلق ( لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) فانتهى المطلوب ..

في حين نرى أن العبادة والتقوى وعدم بث هذه الطاقة المضرّة يعود بالنفع على أهل هذه المعمورة ، قال تعالى ( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) الأعراف ٩٦

اللهم عاملنا بفضلك ولطفك ولا تعاملنا بعدلك

## اللغة العربية وحضارة الكلمة

الحديث عن الحضارات هو حديث قديم متجدد ولا زالت موضع افتخار الأمم وعلى اطلالها تسعى الى بناء المستقبل ..

ولكل حضارة ما يميزها عن الحضارات الأخرى ، تارة تتميز بالبناء والقوة كالفرعونية وتارة بالفكر والفلسفة كاليونانية وثالثة ببعض الاختراعات الحرفية كالسومرية وهكذا ..

وكذا الديانات السماوية ، فلكل ديانة أدلتها ومعاجزها الخاصة التي تثبت بها هويتها ، فهذه الديانة تفتخر ان نبيّها قد فلق الله له البحر ، وتلك تقول ان نبيها يحيي الموتى .. وهكذا ايضا ..

ولكن لا نجد أمة وديانة استطاعت ان تؤسس حضارتها وتبني مجدها وترسّخ وجودها وتؤمّن مستقبلها وتمتد لتلتهم حضارات وديانات قائمة كبيرة في الجوار منها وموعودة ببسط يدها على جميع حضارات وديانات المعمورة كل ذلك اعتماداً على لغتها ولسانها كالأمتين العربية والاسلامية ، فاللغة العربية هي الأساس والمنطلق الذي كانت العرب قبل الإسلام تتطاول به مع باقي الأمم وجاء الإسلام ليؤكد ذلك ويستند على هذه اللغة وينطلق منها في إثبات وجوده وتحقيق أهدافه وغاياته والتي هي غاية الغايات باعتباره خاتم الديانات ، فلا زالت هذه اللغة هي مادة وجود هاتين الأمتين وسبب بقاءها وتطورها في مختلف نواحي ذلك الوجود والتطور ..

فاللغة العربية على حقيقتها ليست كسائر اللغات الأخرى التي لاتعدو كونها أداة تفاهم ووسيلة مخاطبة وتعبير فقط ، وإنما في هذه اللغة أسرار وخصائص أعظم وأكبر من ذلك بكثير وأنها بحروفها وحركات اعرابها وقواعد نظمها وتأليفها تستطيع أن تتحوّل إلى قوى مختلفة وفتاكة ، تستطيع أن تجعل من كلمتها شفاء ودواء ، وكذلك تصلح لمن يجيدها أن يحوّلها إلى سلاح وبلاء ، هي أم العلوم وقالب الشريعة ..

وللأسف فقدنا كل ذلك بعد أن ابتعدنا عن نعمة اللغة العربية وجمالها وخزائنها الثرية ولم تعد ثروة كما كانت لأسلافنا العرب الذين استخرجوا منها ما هو أغلى من الذهب والماس ، خسرنا طاقاتها وهدرنا ثرواتها للأسف ، ولو رجعنا الى شهادات أكابر علماء وأعيان الأمة لعرفنا ذلك جليا :

**فهذا الشافعي يقول : من نظر في النَّحو ، رقَّ ، ويقول ايضاً : من تبحَّرَ في النحوِ اهتدى إلى كلِّ العلوم ..**

**بل اكثر من هذا ، فلقد أُمرنا بالحفاظ على هذه اللغة واستثمارها من قبل رسول الله وأهل بيته الاطهار عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم .**

**إذ روى أبـو الدرداء عن رسول الله أنه قال (( أرشدوا أخاكم فقد ضَلَّ )) لأنه سمع رجلًا يلحن بحضرته ، وروي عنه صلوات الله عليه أنه قال : (( جمال الرجل فصاحة لسانه )) ، وأنه قال ( ص ) : (( رحم الله امرءاً أصلح لسانه )) ..**

**ويكفي فخراً لهذه اللغة أنها أستطاعت أن تكون وعاءً للقرآن الكريم وبشكل تؤدي كل خصائصه ومعاجزه وكراماته ، قال تعالى ( إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) فبها نجد أن القرآن الكريم فيه كل شيء قال تعالى ( ما فرطنا في الكتاب من شيء ) ، وبها نجد القرآن الكريم فيه شفاء للناس قال تعالى ( وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ) ، وفيه الهدى والنور وخير الدنيا والآخره ..**

**فلغتنا هويتنا وبها شخصيتنا وعليها مدار حضارتنا .. فلنعطها شيئاً من اهتمامنا ولنجعلها في قائمة أولوياتنا**

## البلاغ والتبيين

**وظيفتان من بين أهم الوظائف التي حدّدها القرآن الكريم لرسولنا الأمين ، هما : الإبلاغ والتبيين ..**

**قال تعالى ( وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ) المائدة ٩٢ ، وقال تعالى**

( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ) النحل ٨٢ .. بل هذه وظيفة جميع الرسل ، قال تعالى (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) ، وغيرها من الآيات التي جاءت بهذا المنطوق الذي يحصر ما على الرسول ، وهو البلاغ المقيّد بالمبين .

والكلام في لفظ " المُبين " - وهو إسم فاعل من بان - ، فتبليغ القرآن الكريم ، اي إيصاله ، يحتاج الى بيان - بمعنى وضوح - ألفاظه ومعانيه وسائر جوانبه وأسراره .. وتبليغ الرسالة يحتاج الى كشفٍ لمقاصدها ومضامينها .. وأمّا وسائل الكشف والتبيين هذا فمتعددة ، تارة تكون بالقول وتارة بالعمل ، وكل هذا تقوم به سنّة وسيرة الرسول الأكرم صلوات الله عليه والمعصومين من بعده وأمنائه على رسالته وشريعته التي جاء بها ..

من هنا يتبيّن لنا موقع السنّة في الإسلام ، فهي ليست قرآناً ثانٍ ، ولا نسخةً ثانية للشريعة ، وإنما هي تأخذ دور بيان القرآن وتبيين الرسالة ، وهي الجناح الثاني لوظيفة النبي الأكرم صلوات الله عليه والمتمِّم للتبليغ ..

فالكلام عن إسلامَين ، إسلام القرآن وإسلام الحديث (١) ، بات كلاماً غير ذي معنى وأساس ، الّا أن يراد بالحديث هنا أحد أمرين :

+ حديث منحول على النبي الأكرم - صلوات الله عليه - ، وهذا أصلاً ليس بحديث لأنه ينبغي أن لا يُضاف الى السنّة الاّ بعد أن يمرّ بقنوات تدقيق وتحقيق علمية وشرعية ..

+ أن يكون الخطأ ليس بأصل الحديث والسنّة وإنما بالقراءة ، فقد يكون الحديث صحيحاً ولكن الخطأ يقع في مرحلة فهم الحديث أو تطبيقاته ، وهذا ما لا ينبغي تحميل السنة تبعاته ..

وعلينا أن نعلم أن الرسول الأكرم صلوات الله عليه كما أنه عانى في مرحلة التبليغ ما عانى من تكذيب له وصدّ وعدم إيمان وأذى ..الخ كذلك عانى في مرحلة التبيين والتأويل ، وعانى معه المسلمون الاوائل ، وكما أنهم قاتلوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم من أجل تبليغ الرسالة فقد جاهدوا وقاتلوا كذلك في سبيل بيانها ..

وهذا ما تنبّأ به رسول الله صلوات الله عليه لأمير المؤمنين ع بقوله : { أنا أقاتل على تنزيل القرآن ، وعلي يقاتل على تأويل القرآن } (٢) ، وهل التأويل هنا إلا جانب من أهم جوانب تبيين البلاغ ..!! ، والتأريخ الإسلامي فيه مساحة واسعة لأحداث معارك التأويل الفكرية والكلامية ومعارك السيف ، وكلها - تقريباً - دار رحاها أهل البيت ع وأشياعهم .. والى الآن .

ولا تنقطع فترة تبيين القرآن الكريم ولا تقف عند زمانٍ ولا مكانٍ معينين ، فهي مستمرة بإستمرار وخلود الرسالة ، فإذا كانت مرحلة التبليغ قد توقفت عند موت النبي صلوات الله عليه فإن مرحلة التبيين لم تتوقف .. من هنا نعرف أهمية وضرورة وجود حَمَلة للدين وأمناء لشريعة سيد المرسلين وخلفاء لخاتم النبيين .. من هذه المفهومية وهذه الحركية تتآلف وتتناسق القاعدة التي ننطلق

**منها في تثبيت عقيدتنا في الإمامة ، ونظرتنا الى الفقهاء ومنظومة الاجتهاد والتقليد داخل مدرسة أهل البيت عليهم السلام ..**

**---------------**

**(١) انظر كتاب : من إسلام القرآن الى إسلام الحديث ، جورج طرابيشي**

**(٢) كنز العمال ١١ / ٦١٣**

## العقل التخريجي ( أو التعقل البديل )

**كثيرة هي سلاسل التفكير التي تنتهي الى نتائج مخالفة لأفكار أخرى ثابتة وقطعية ، او غير منسجمة مع أهداف أو هوى المُفكِر نفسه**

.. ! مما يضطره الى اتخاذ سلسلة أخرى للتفكير هي بمثابة مسلك طوارىء يُتخذ عند الحاجة ..

والعقلية الطارئة هذه والتي تتخذ طرقاً بديلة للتفكير ممكن أن نسمّيها بالتخريجات أو التعقل البديل او كما يسميه بعض الكتّاب "العقل التخريجي" ، نسبةً الى تلك المخارج الطارئة والبديلة في عملية التفكير .

والعقل التخريجي سلاح ذو حدين ، وبمفرده وبدون دين يردعه او أخلاق تهذبه يصبح سلاحاً خطراً لا يؤمن له ..! وكلما كان صاحبه اكثر مهارة وأقل فضيلة كلما كان أكثر خطورة ..

وليس أقل خطراً من ذلك عندما يعمل " العقل التخريجي" عند صاحبه من حيث لا يدري او يدري ولكن من حيث يحسب أنه يُحسن صنعاً أو من باب إظهار القوة والإحاطة والنبوغ .. !!

تُكتسب وتُنتهج هذه العقلية في التفكير بصورة اكثر داخل العلوم ذات الطابع الجدلي وفي مساحات العلوم العقلية والرياضية الافتراضية وهذا قد لا نجده كثيراً في العلوم والمجالات الطبيعية والتجريبية .

لم يأل جهداً علماء كل إختصاص بإختصاصه في ضبط وتقنين وتقعيد مناهج ومسالك العقل التخريجي ووضع حدود وخطوط حمراء وصفراء وخضراء له ، إلّا أنّ سايكولوجية هذه العقلية

**تكون متمردة في العادة بل متنمّرة أحيانا ، فتفشل كل مساعي الضبط والتحديد .**

**ومثال على ذلك هو عملية تفسير القرآن الكريم وبيان مراد الله من كلامه تعالى ، فقد يُترك التفسير ويُصار الى التأويل والتفسير بالباطن .. ، أو استعمال مجازات اللغة وطرقها البلاغية والبيانية التي تُجيز استظهار معان اخرى غير معانيها التي وضعت لها وكَثُرُ استعمالها بها ..**

**فتح هذا الباب بنفسه يعتبر فتحاً لنافذة تُطلّ على بحرٍ عميق ومترامي الأطراف .. ولهذا حاول القائمون على علوم التفسير والتأويل جاهدين من أجل ضبط إعدادات البرامج والأدوات التي تستعمل للمرور من تلك النافذة .. ومن أولى تلك الضوابط - مثلاً - هو عدم الركون الى المخارج البديلة إلا عند الإضطرار وعدم موائمة ظاهر التفسير وتناقضه مع تفسيرات مُحكمة وغير قابلة للردّ أو المراجعة ..**

**والأمر أصعب يكون مع الروايات وسنّة المعصوم ، فلكثرتها ولمعارضة بعضها البعض ولظنية صدورها ولتغيّر ظروفها .. الخ جعلها بهكذا صعوبة ، والصعوبة تكون أضعافاً مضاعفة على الفقيه والمستنبِط للحكم والوظيفة العملية ، لأن افتراضاته العقلية هذه وراءها ترجمة عملية تتبعها مسؤولية شرعية كبيرة ، ومن هنا كانت عدالة وفضيلة الفقيه تساوي اضعافاً مضاعفة من عدالة الشاهد أو إمام الجماعة ..!! فترى العقل التخريجي عند الفقهاء من جهة على أعلى درجاته ، ومن جهة تكون المسؤولية الشرعية**

على مستويات أعلى منها .. ولهذا فهم يعيشون لذة العلم ولذة التقوى معاً في خلطة لا يعرفها إلا أهلها وما لنا إلا نخمّنها .. فقط

ويمكن ان نتعرف على العقل التخريجي في اختلاق الأعذار عندما نريد أن نخالف قانوناً وضعياً أو حكماً سماويا ، وهذا ما صنعه إبليس عليه لعائن الله مع أبوينا آدم وحواء ، فلكي يقنعهما بأكل الشجرة التي أرشدهما الله تعالى بعدم الأكل منها ، وسوس لهما بأن ما سيحصلان عليه عند الأكل منها أفضل مما سيحصلان عليه عند الالتزام بالنهي الإرشادي ، قال تعالى { فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } الأعراف ٢٠ ، بل { وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} الأعراف ٢١ ..

مجالات العقل التخريجي كثيرة، وأمثلته أكثر ، { بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ، وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ } القيامة ١٤ ، ١٥

## الفضائل ، بين الطبع والقرار

الفضائل والصفات الحميدة ، إن لم تكن طبعاً ومَلَكةً يجدها الإنسان في نفسه ويتصف بها من غير قصد أو تكلّف ، فيمكن بل ينبغي أن

تكون قراراً يتخذه الشخص وفرضاً يوجبه على نفسه حتى تصبح فيما بعد بدرجة الطبع والمَلَكة ، لأن العادة طبع ثان كما ورد عن الإمام علي (ع) ، وعنه عليه السلام ايضا : ( تخير لنفسك من كل خلق أحسنه ، فإن الخير عادة ، تجنب من كل خلق أسوأه ، وجاهد نفسك على تجنبه ، فإن الشر لجاجة ) ميزان الحكمة ٢٩٩٨ .

وهذا ما نجده في الرياضات والبرامج التي يتبعها الأخلاقيون مع أنفسهم من أجل تهذيبها والارتقاء بها ، ومن أجل التخلّي عن السيء والقبيح من الصفات والتحلّي بجميلها وحَسَنها ، ولعل أسلوب المشارطة والمراقبة والمحاسبة من أهم ما نقصده هنا ..

ومن كلام للسيد الشهيد الثاني قدس سره ، سمعته منه في إحدى تسجيلاته الصوتية - على ما أتذكر - ، يقول : اتخذت قراراً مع نفسي ذات مرة أن لا اتشائم ابداً مهمّا صادفت من أحداث او حالات تنذر بسوء او قبح ( انقل هنا بالمعنى لا بالنص ) ، فيقول وأنا خارج من مرقد امير المؤمنين ع صادفتني سيارة مسكوفج ( احدى السيارات المتواضعة في وقتها ) وفي حالة يرثى لها .. يقول - رضوان الله عليه - تطيّرت منها ( تشائمت ) ..!! ثم تذكرت اني على عهد مع نفسي ان لا اتشائم .. فاستغفرت ومضيت .. وما إن وصلت الى البيت فوجئت بخبر وفاة والدتي - رحمها الله - ..

اذن ، كثير من السجايا الأخلاقية الحميدة والحسنة ، سواء كانت متعلقة بالشخص نفسه ، او كانت لها انعكاسات وآثار اجتماعية .. نستطيع أن نكسبها بقرار وعزم ومرابطة وصبر وتحمّل .. لفترة معينة - وقصيرة بعداد معدل عمر الإنسان - .

**محل الشاهد هو : لنتعلم من الاخلاقيين هذا الدرس ، وهو إن لم تكن الصفات الحميدة من طباعنا فلتكن من قراراتنا .. وكم تعجبني العبارة والحكمة التي تقول : ( لا تفكر بالنجاح ، فكر بعادة ناجحة ) . فالنجاح قد يكون مرةً واحدة ، بينما انت تحتفل بالعادة الناجحة في كل يوم ..**

## مناقشات العلاقة بين الدين والسياسة ( خطأ منهجي )

مسألة علاقة الدين بالسياسة من المسائل التي لها تأريخ في المنظومة المعرفية الإسلامية ، وتنوّعت الآراء والاتجاهات ازاءها ، فمنهم من قطع هذه العلاقة ونفاها نفياً قاطعاً ، ومنهم من ربطها ربطاً وثيقاً وجعلها مركباً مترابطاً ، ومنهم من فصّل بالأمر وأعطى لها حدوداً ومسارات وضوابط ..

واعتقد أن من أهم أسباب الإختلاف هو مناقشة هذه العلاقة في كل زمان ومكان بين السياسة وبين من يمثل الدين في تلك القطعة الزمانية والمكانية .. والواقع هو أن هنالك فرقاً بين الدين وبين من يمثله في جزئية معينة ، وبالتالي سيؤثر هذا الفرق على طبيعة الحكم الناتج على تلك العلاقة ..

ولتقريب الفكرة والاقتراب من المُراد منها أكثر .. ندخل في الواقع المعاصر ونقول : ليس من الدقيق معرفياً أن نناقش علاقة الدين بالسياسة من خلال مناقشة هذه العلاقة بين الحوزة العلمية ومراجعها واساتذتها ودروسها ومباحثها .. مع السياسة ، لأن الحوزة لا تمثل كل الدين ، فهي مسؤولة عن بعض جوانبه ولها النيابة والوكالة الاضطرارية عن بعض أموره .. وهذا ما يقوله جلّ فقهاء الحوزة واساتذتها ..

وعليه .. فإنّ من يجد أن الحوزة قاصرة عن إدارة الجوانب السياسية للمجتمعات الإسلامية وعندها الرغبة في الابتعاد عنها ما أمكن ، بسبب قصور وضعف في دليلها العلمي او قصور وضعف في بُعدها المهاري والإجرائي ، فهذا لا يعني ضعف الدين ، ولا يمكن أن نحكم على الإسلام بأنه لا يغطي هذا البُعد الحياتي للإنسانية ..

**فنحن اذن أمام مفهومين وحكمين ينبغي أن يُناقشا كلاً على حده ، مفهوم وحكم خاص بعلاقة أصل الدين بالسياسة ، ومفهوم وحكم خاص بالحوزة العلمية الحالية - بظروفها وإمكانياتها وتأصيلاتها - بالسياسة ..**

**ومن هنا ينفتح لنا باباً واسعاً لفهم وتطبيق نظرية ولاية الفقيه ، فولاية الفقيه تمثل فكرة متحررة - أو تريد أن تتحرر - عن عنوان وقيود وظروف الحوزة العلمية بما هي حوزة الى عنوان الدين بأكمله ، ولهذا نجد الاختلافات والخلافات واضحة وعلى قدم وساق بين الفقهاء الذين عملوا بفكرة ولاية الفقيه وبين فقهاء الحوزة العلمية المُقيدة بالدرس والافتاء وبعض الجوانب الحسبية والولائية الضيّقة نسبياً .. الى الدرجة التي أعتُبر بها الفقيه الذي يعمل بالسياسة بأنه لا قيمة له على حدّ تعبير بعض الفقهاء المعاصرين أعزهم الله ..**

**اذن ، لا نريد من هذا المقال ان ننتصر الى فكرة معينة بقدر ما نريد الإشارة الى الخطأ المنهجي الذي يحصل كثيراً في أصل مناقشة الفكرة ..**

## التفاعل الفكري مع المناسبة الدينية

المناسبات الدينية من الفرص العبادية الثمينة في الإسلام وقد أعطاها ديننا الحنيف أهمية بالغة من أجل استثمارها من قبل المسلم والحرص على اغتنام بركاتها وثوابها وانعكاساتها على الفرد وعلى حياة المجتمع الإسلامي .. وما عليك الّا أن تتصفح كتاب مفاتيح الجنان حتى ترى أن الكتاب كرّسه كاتبه الشيخ المحدّث عباس القمي ( طاب ثراه ) لإستقراء واحصاء وجمع الأعمال العبادية الخاصة بكل مناسبة مع ذكر ثوابها وبركاتها ومردوداتها الإيجابية ، الآجلة والعاجلة .

ليس حديثي هنا عن الجانب العبادي المعروف للمناسبات من سنن ومستحبات فردية أو جماعية ، وانما أريد أن أنوّه الى الإحياء الفكري للمناسبة والذي لا يتم الاهتمام به والالتفات إليه غالباً رغم أنه تفاعل عبادي ايضاً له ثوابه وبركاته وانعكاساته التي قد تفوق الإحياء العبادي المعروف ..

وللتفكر والتدبّر والنظر في الإسلام أهمية ومندوبية قصوى .. فعبارات ( أفلا يعقلون ، يفقهون ، يتدبرون ، يتفكرون .. الخ ) من أكثر العبارات المستعملة في القرآن الكريم ..

ومن التفاعل الفكري - العبادي - هو القراءة عن المناسبة والكتابة فيها ، وهذا ما كان متيّسراً في السابق لخيرة العلماء والفقهاء والكتّاب والمفكرين في الإسلام والذين خلّدهم فكرهم ومداد اقلامهم أضعاف مضاعفة من حياتهم التي عاشوها .. وسيبقون مخلّدين بيننا .. حصلوا من البركات ما جعلهم في أعلى قوائم العبّاد وفي الخط الأمامي لسوح جهاد الكلمة .. أمّا اليوم وفي ظلّ هذه الثورة التكنولوجية أصبح هذا الشيء متيّسراً للكثير الكثير منّا - ولو بنسب

متفاوتة - فالبحث عن المصادر أصبح اكبر وأسهل ، وكذا الكتابة والتأليف والنشر ، وبجهد جسدي أقل بكثير جداً من الجهد الذي نبذله في عباداتنا التقليدية ..

قال تعالى ( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ) ابراهيم ٢٤ ، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ( يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء ، فيرجح عليهم مداد العلماء على دم الشهداء ) كنز العمال ٢٨٧١٥ ، وعنه (صلى الله عليه وآله) : ( العلم أفضل من العبادة ) كنز العمال . وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : تفكر ساعة خير من عبادة سنة (إنما يتذكر أولوا الألباب) .

يبقى التنويه الى امرين :

الأول : الأفضلية بين العبادة الفكرية والعبادة السننية - اذا صح القول - لا يعني الالتزام بأحدهما على حساب الاخرى ، فتأثر وتكامل أحداهما بالأخرى لا ينبغي الزهد فيه ابدا ..

الثاني : للتفاعل الفكري - نظراً وقراءة وكتابة .. - أصوله ومحدداته وادبياته .. وكلما كان أكثر التزاماً بقواعده تلك كلما كان أعظم أثرا ..

## لنفهم النصرة كدَرَجة

نعلم أن عدد الأنبياء محدود وغير قابل للزيادة ، وعدد الائمة في الإسلام محدود وغير قابل للزيادة ، وأنصار معركة بدر كذلك ، ولقد امتلأت تلك المقاعد الشريفة ولم تعد فارغة ، وكذلك انصار ابي عبد الله الحسين ع في الطف ..

وقد يقول قائل أننا حُرمنا من تلك الفرص الثمينة ، لأننا لم تتح لنا ، فما فضل اولئك علينا وما ذنبنا نحن ..؟

لا نريد أن نجيب عن هذا الإشكال بالأجوبة العقائدية والفلسفية .. وإنما نودّ التنويه الى فكرة اسلامية اصيلة نافعة من جهة وتُجيب على هذا الإشكال بأفضل الاجوبة .. وهي :

اذا كانت تلك الفرص قد ضاعت فإن نيل درجاتها لم تضع ..! درجة أنصار بدر لا زالت متاحة وقد حصل عليها ابو الفضل العباس ع بعد مرور خمسين عاماً عليها ، وهذا ما يخاطبه به الامام الصادق ع في الزيارة ( أشهد واشهد الله انك مضيت على ما مضى به البدريون ) .

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل ، وقد قال له بعض أصحابه : وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك ، فقال عليه السلام : أهوى أخيك معنا ؟ فقال : نعم ، قال عليه السلام : فقد شهدنا ، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، سيرعف بهم الزمان ، ويقوى بهم الايمان .

وكذا في مسألة أصحاب الامام المهدي عج ال ٣١٣ ، فقد يقول البعض أنهم معروفون ومحددون بل مذكورون بأسمائهم وبلدانهم .. نقول لهم نعم - لو سلّمنا - ولكن درجاتهم تبقى متاحة لكل أحد .. قال تعالى ( هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ) ال عمران ١٦٣ .

ومن هذه الفكرة نفهم كيف يتحول المؤمن الى ميزان للثواب وميزان للحق ، وكيف يصبح مسطرة ومقياس لغيره ..

## لا تأريخ للعرب يُفتخر به قبل الإسلام

صدّعوا رؤوسنا في كتب المناهج المدرسية وأحاديث المحدّثين وقصص وروايات القاصّين .. بأخلاق العرب وطباعهم الحميدة ، من شجاعة وشهامة وكرم ..

واعتقد ان هذه الأمور من أكذب ما نُقل من تأريخٍ عن حياة العرب - قبل الإسلام خاصة - ، ولهذا الكذب أسبابه : فأمّا أن يكون بسبب تعميم حالات نادرة على كل العرب ، كتعميم كرم حاتم الطائي ، أو تعميم شجاعة عنترة أو وفاء السموأل.. الخ ، وأمّا بسبب تأطير وتبرير الأخلاق السيئة بأطر المحاسن والصفات الحميدة ، وأد البنات يُعلّل بالخوف من إلحاق العار ، ونصرة الأخ حتى لو كان ظالماً بالحميّة .. الخ ، ومن الكذب أيضاً عندما يتم التركيز على ما يهبهُ العربي لا على ما ينهبه ..!!

ولعل الشعر الوارد عن تلك الفترة على رأس أسباب التاريخ الكاذب وتجميل الحقائق المشوّهة ، فأعذب الشعر اكذبه كما يُقال ، ويأتي من باب الفخر في الأحساب أو الطعن في الأنساب بما لا يتوافق مع الواقع ولا الحقيقة - الا نادراً - وحتى النادر منه لا يخلو من مبالغة وتحسين للكلام وتضخيم للرجز ..

لنراجع القرآن الكريم وحديث نبي وائمة الإسلام صلوات الله عليهم ولنقارن بينها وبين ما نُقل عنهم ، يكفي أن يصفهم القرآن بالجاهلية ..! بل نفس التأريخ المنقول نجده مملوءا بالأحداث والأخبار السيئة والتي تنسف وتناقض كل أحاديث التلميع تلك ..

كان الضعيف عندهم مُهاناً والذي ليس له حسب شريف مُحتقراً ، الغزو والسرقة كانت عندهم من الشجاعة والتبذير من الكرم ..

انتقد القرآن الكريم تبرج نساءهم { وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الأُولى } الأحزاب ٣٣ ، وأبطل حكمهم { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } المائدة ٥٠ ، ولم يرض بحميّتهم { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ } الفتح ٢٦ ..

ولقد وصفت السيدة الزهراء عيها السلام حال العرب عندما خاطبت القوم بعد وفاة أبيها ص واله : { وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطئ الأقدام ، تشربون الطرق ( الماء الذي خاضته الأبل وبالت فيه ) ، وتقتاتون القِدَّ ( الجلد غير المدبوغ ) والورق ، أذلّةً خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله ) } .

ويصفهم أمير المؤمنين ع في إحدى خطبه : إنَّ اللهَ بَعَثَ مُحمَّداً (صلى الله عليه وآله) نَذيراً لِلعالَمِين وأمِيْناً عَلى التَّنْزِيْل وَانتُم مَعشَر العَرَب عَلى شَرِّ دين وَفي شَرِّ دار مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجارَة خَشِن وحَيّات صُمِّ تَشربُونَ الكَدِرَ وَتَأكُلُونَ الجَشِبَ وَتَسْفِكُونَ دِماءكُمْ وتقطعُونَ أَرْحامَكُمْ الأصنامُ فيكُم مَنْصوبَة وَالآثامُ بِكُمْ مَعْصُوبَة ..

لا تأريخ لهم كأمّة ، أما كأفراد او كحالات نادرة فلا تخلو اكيداً من مواقف وأحداث وشخصيات هي محط فخر واعتزاز ..

## التجديد الفقهي

من أكثر المواضيع سجالاً بين المفكرين الإسلاميين او - الذين اتخذوا الإسلام منصةً لأفكارهم ورؤاهم - هو موضوع التجديد الفقهي وإدخال الحداثة في مفاصل الدين والشريعة ..

نالت هذه الموضوعة من المناقشات ما نالت ، وكل من يريد الإطلاع على الأفكار المطروحة فيها - رفضاً وتأييداً - سيجد أمامه مكتبة غنية وضخمة ومتنوعة وتغطي أغلب جوانبها ..

وعلى الرغم من هذه الغزارة الا أن الموضوع لا زال يحتاج ويتحمل مكتبات ومكتبات تناقشه وتعرضه وتقدّمه للقارىء والمفكر ولصاحب القرار والرأي ..

إلا اني أريد أن اتعرض لأمر معين التفتُّ إليه وأنا اقرأ بعض الكتابات والمقالات في هذا الموضوع .. وهو أن الموضوع يثار في العادة من جهات ثلاث ، إثنان يمثلان الفعل وواحدة تمثل ردة الفعل ..

أما الجهتان اللتان تمثلان الفعل :

- جهة باشرت بتطبيق الشريعة فعلاً وفي الواقع ومارست ذلك في مؤسسات تنفيذية ، الا انها انصدمت بالفجوة ما بين التنظير والتطبيق .. الأمر الذي دعاها الى البحث عن طرق وحلول واجراءات تؤدي الى تقليص هذه الفجوة ، فكانت الدعوة الى تجديد

الفقه من أهمها وعلى رأسها .. كما حصل فعلاً في الجمهورية الاسلامية الايرانية بعد انتصار الثورة ، فعندما مارست الثورة في اجراءات أسلمة مؤسسات الدولة وتفقيه اجراءاتها .. وقعت بهذه المفارقة مما أدى الى ثوران بركان من الأصوات الداعية الى التجديد .. حتى أن السيد الخميني نفسه - وهو المجتهد المرجع صاحب المسلك الأخلاقي والعرفاني - اعترف بوجود الفجوة وأقرّ بضرورة اجراء تعديلات فقهية جوهرية .. يقول : [ ان الزمان والمكان عنصران اساسيان في الاجتهاد ، اذ بلحاظ العلاقات الحاكمة في السياسة والاجتماع والاقتصاد في أحد الأنظمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية جعلت نفس ذاك الموضوع - بالظاهر - موضوعاً جديدا ، فيستتبعه حتماً حكم جديد ] .

ونسمع من السيد الخامنائي ايضا : [ ان المفاهيم تشيخ وتفقد رونقها شيئاً فشيئاً ، فيتوجب استبدالها بمفاهيم جديدة .. فالمفاهيم تتعرض للنسخ في شتى العلوم ] .

- اما جهة الفعل الثانية ، فهي الجهة التي أعجبتها الحضارة الغربية وراق لها بعض ما وصلت إليه ، وعندما أرادت أن تستورد ما أعجبها الى المشرق الإسلامي واجهتها ومنعتها بعض احكام الشريعة وأسس العقيدة .. مما حدا بها الى التفكير بتغيير أدوات الانتاج الفقهي وتجديد بعض الطرق الموصلة اليه لكي تكون بضاعتهم المستوردة مقبولة من قبل الفقه المُجدد والشريعة المُحدّثة .. ورواد هذه الجهة كثيرون ، نذكر منهم مثلاً ( آركون - الجابري - سروش ) ..

- اما الجهة التي عارضت تيار تلك الجهتين وتبّنت جبهة المواجهة .. فلها روّادها ايضا ، فقد تصدى مثلاً في ايران الشيخ صادق لايرجاني وحاول نقض افكار عبد الكريم سروش .. وكذلك تعرض كل من محمد اركون والجابري ومحمد شحرور وغيرهم الى موجة انتقادات كبيرة وغزيرة في كافة المحافل والنوافذ العلمية والأدبية والنقدية ..

ما اريد ان أثبته هنا .. اننا لا يمكن إهمال تلك الدعوات التجديدية ما دامت دعواتها نابعة من حاجة ملموسة وواقعية وليست تنظيرية ، وبنفس الوقت أن التجديد لا ينبغي أن يكون على حساب الدين والشريعة ..

وأضيف .. كل محاولة تجديدية لا تتم في الوقت الحاضر الا ان يتبناها الفقهاء أنفسهم ، وغير ذلك هو طرقٌ في الحديد لكي يلين لا اكثر ..

# بركات الدراسة في حوزة النجف الأشرف

**ينقل لي أحد الاخوة أنه كان في نيّته إنشاء صفحة على الفيس بوك خاصة بنشر دروس الحوزة العلمية وبمراحلها المختلفة وبشكل لائق ، يقول استشرت أحد اساتذة الحوزة في ذلك الا أنه لم يشجعني وتفاجأت منه بعبارة ( العلم عندنا يؤخذ من الصدور لا من السطور ) .. فأحجمت عن المشروع وتركت الفكرة ..**

**هذه العبارة عظيمة وعميقة بمعناها ولا يعرف قيمتها إلا من كان في أجواء الدراسة الحوزوية أو قريباً منها ، حيث يعرف ماذا تعني الدراسة في الحوزة والحضور في درس النجف وكم لهما من البركات والمعنويات ، فالعلم فيها نور حقاً يشعّ في العقل وينعكس على الحال ويحيط بجوانح وجوارح صاحبه ..**

**الكثير ممن أعرفهم من طلبة العلم قد استهوتهم الدروس الكمبيوترية وجعلتهم يهجرون الحوزة وحضور درس النجف الا انهم تدريجياً تركوا هذا السلك الشريف وابتعدوا عنه علمياً وروحيا ..**

**فالعلم في حاضرة أمير المؤمنين ع باب يُفتح منه ألف باب ، لا يعوّض الدراسة فيها لا الجامعات الاكاديمية ولا الحوزات المنتشرة في باقي الأصقاع .. فبركات أمير المؤمنين وأنفاس الاف العلماء والأولياء والطلبة المخلصين لا زالت تحفظ هذه الحوزة وتضيف لها نوراً وشرفاً وفضلا .. حفظ الله حوزتنا بمراجعها وطلبتها ووفقنا للإستظلال بظلها ..**

# كلمةٌ سواء

للعلوم العقلية مناهجها وقواعدها الخاصة للوصول الى الحقائق والنتائج والبرهنة عليها ، ولعلّ المنطق الأرسطي من أشهر تلك المناهج والقواعد التي يستعملها أصحاب تلك العلوم ..

وكذلك أصحاب الإتجاه التجريبي ، فالمعاينة والملاحظة والتجربة واجهزة المختبر وما شاكلها تعتبر رأس مال براهينهم وإثباتاتهم ..

ولأصحاب الاتجاه الغيبي والاتجاه الاشراقي والمشائي .. وغيرها من الاتجاهات .. كل منها له مناهجه المعرفية الخاصة للبرهنة على بعض الحقائق والإيمان ببعض الأفكار ..

وعادة ما يتزمت كل اتجاه بمنهجه الخاص ويعتبر طريقة برهانه هي الأصحّ والأكمل ونتيجتها بالنسبة له هي الأكثر إيماناً واطمئناناً ، وركون أصحاب هذا الإتجاه الى ما يعتمده أصحاب الإتجاه الآخر لا يحصل ، إلاّ نادراً أو عندما يُراد ابطال نتائج الآخر بمناهجه التي يتّبعها هو ..

ومن إحدى الطرق العقلية لمحاولة جمع تلك الاتجاهات المختلفة بدون الرضوخ أحدهما الى منهج وأدلة الآخر هو الرجوع الى قاسم مشترك واحد يعمل على كل الأطراف ولا يستطيع اي منها رفضه لأنه جزء لا يتجزء من نظريته وطريقته الى يؤمن بها ويتبعها ، وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم في كثير من الآيات ، منها قوله تعالى { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } ال عمران ٦٤

وكمثال حيّ وقريب وتطبيقي لهذه الفكرة هو ما قام به السيد محمد باقر الصدر في كتابه الرائع ( الأسس المنطقية للاستقراء الرياضي ) حين حاول ايجاد قاسم مشترك بين الاتجاه التجريبي والاتجاه العقلي بالشكل الذي يلتقون به في منهج برهاني واحد يؤمنون بنتائجه ويتفقون على مخرجاته .

ولقد نجح فعلاً في ذلك عند ايجاده لمنهج التوالد الذاتي للمعرفة والذي يعتمد على الاستقراء ونظام الاحتمالات .. واستطاع عن طريق هذا المنهج الجديد - الذي ينبغي أن يؤمن به أصحاب المناهج العقلية والتجريبية ولا يسعهم رفضه وانكاره - اثبات وجود الصانع وضرورة الإيمان به ..

فبعد أن وضّح تفاصيل وأسس هذا المنهج - الموّحد - وأثبت عمله على أكثر من منهج قال : ( هكذا نبرهن على أن العلم والإيمان ، مرتبطان في أساسهما المنطقي الاستقرائي ، ولا يمكن من وجهة النظر المنطقية للاستقراء ، الفصل بينهما ) الأسس المنطقية، ص 578

وقال ايضاُ محذراً من الرفض : ( إما أن يرفض الاستدلال العلمي ككلّ ، وإما أن يقبل الاستدلال العلمي ، ويعطي للإستدلال الاستقرائي على إثبات الصانع ، نفس القيمة التي يمنحها للاستدلال العلمي ) الأسس ، ص 577 .

ايجاد لغات ومناهج وقواعد علمية مشتركة بين العلوم والمعارف التي تتقاطع في أهم أفكارها ونتائجها هو الحلّ الأسلم للتعارف والتقارب فيما بينها .

# المهامّ المؤجلة

قال تعالى { وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ } الأنعام ١٣٣

هذه الآية المباركة ومعها آيات أخرى توحي بأن ثمّة مهام سماوية كبرى قد كلّف الله تعالى بها الإنسان - كأمة ومجتمع وجيل بشري - لأدائها ، وأن هذه المهامّ لا بدّ لها أن تُؤدى وتنفّذ ، سواء من هذا الجيل أو من غيره ، ولهذا فالإنذار واضح من قبل الآية لكل جيل مُخاطَب ، إن لم يستثمر هذا التشريف والتكليف فإنّ ذلك سيؤدي الى النتائج التالية :

+ ضياع الجيل فرصة ثمينة على نفسه من اداء ما كلفه الله تعالى به من مهمّة تعود عليه بخير الدنيا والآخرة لو جرت على يديه ..

+ يتحمّل الجيل الآثار السلبية - العقابية - من جراء عدم اداء مهامه الموكلة اليه وتأخير إرادة السماء ، سواء كانت الآثار وضعية ام جزاء دنيوي ام آخروي ..

+ ترحيل ونقل هذا التكليف والتشريف الى جيل آخر ، تتاح له نفس الفرصة ويتعرض لنفس القانون ..

فالقضية من قبيل ما يسمّى بتلازم أو تعاقب الأجيال ..

**مع ملاحظة أمر هام : وهو أن كل جيل فاشل في اداء المهمة النهائية والكبرى ، سيكون جزءاً من نجاحات جزئية وأهداف مرحلية تعمل بمجموعها على تهيئة اسباب الاهداف الكبرى وتمهّد الطريق التدريجي نحوها ..**

**هذه الأهداف الجزئية المتحققة سواءً كانت ناتجة من نجاحات اختيارية حازت عليها شخصيات وجماعات صغيرة في كل جيل ، قد وعت مسؤوليتها اتجاه ربها ووجودها وسعت سعيها وأدّت ما عليها وإن لم تستطع أداء ما على جيلها وإنسانها المعاصر .. أو كانت ناتجة بصورة طبيعية وقسرية بفعل السنن التاريخية والاجتماعية الجارية على البشرية .. او كلا الأمرين معاً ..**

**قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } النحل ٣٦**

# فلسطين من وجهة نظر إسلامية

قبل التلبّس بأي عنوان ، فإن القضية الفلسطينية هي قضية إنسانية بإمتياز ، أرضٌ مغتصبة ، حقوق مسلوبة ، حصار جائر ، دماء تسيل ، مهجّرون وأسرى وسجناء .. كل هذا وغيره مما لا يرضاه أدنى مستوى من الإنسانية ولا يقبله أقلّ حظٍّ من الضمير الإنساني ..

ولكن عند إضافة بعض الموضوعات على هذا الملفّ فهو مما يساعد على إضفاء قناعات جديدة وإعادة لترتيب أولويته ودرجة الاهتمام به عند هذه الجماعة أو تلك .. وبالتالي فإنه يصبّ في مصلحة القضية وتقليص مدتها بحسب الإمكان .

فمثلاً ، هي قضية فلسطينية تهمّ أهل فلسطين ، وهي قضية عربية ، وهي قضية إسلامية ، وهي قضية شرق اوسطية ، وهي قضية إقليمية ، ثم أنّها عالمية .. وهكذا ، وكل وصف من هذه الأوصاف من شأنه تعزيز الجبهة المصطفّة الى جانب الفلسطينين اتجاه العدو المشترك اسرائيل والصهيونية العالمية ..

وعليه .. هذا المنشور يُعنى بمناقشة القضية الفلسطينية من وجهة نظر إسلامية فقط ، وكالآتي :

إسلامياً يربطنا بفلسطين أمور ثلاثة مهمة :

الأول : الأرض الإسلامية في فلسطين

الثاني : المقدسات الإسلامية هناك

**الثالث : المواطن الفلسطيني المسلم**

**أمّا الأرض / فإن فلسطين من الأراضي الاسلامية التي افتتحت عنوةً - اي من خلال حرب عسكرية - بعد أن كان يحكمها البيزنطيون ، وهي دولة مسيحية تدين بدين النصرانية ، وذلك في أيّام عمر بن الخطاب .. وحكم الأرض الإسلامية المفتوحة عنوةً هو أنها وقف لجميع المسلمين ، أو على رأي بعض المذاهب الإسلامية أنها تُقسّم على الغانمين لها .**

**وامّا المقدّسات / فالقدس كمدينة هي قبلة المسلمين الأولى ، وأمّا المسجد الأقصى ، فهو مسرى الرسول صلوات الله عليه ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) الاسراء ١ ، فحرمتها واضحة وأن الإسلام لا يسمح بإنتهاكها او أهانتها ، ما بالك في ان تكون أسيرة بيد غير المسلم الذي لا يعرف حرمتها فضلاً عن المحافظة على تلك الحرمة والقدسية ..!**

**وأمّا سكّانها المسلمون / فنصرتهم والدفاع عن دمائهم واعراضهم واموالهم هي من واضحات الأحكام بل قد ترقى الى الضروريات والثوابت الإسلامية ..**

**وبهذا فإن اسرائيل اليوم تُعتبر جهة غاصبة للأرض الإسلامية ومنتهكة للحرمات والمقدسات ومعتدية على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وحرياتهم ، وواجب المسلمين اليوم هو العمل لإرجاع كل تلك الحقوق ورفع كل تلك الظلامات .**

وقد يتندّر البعض بكلمات هدفها تشويه الحقائق الإسلامية وتقريب مفهوم الصلح مع اسرائيل بإعتبار أن للصلح أساس اسلامي ولقد كانت هنالك معاهدات واتفاقات مع اليهود أيام الرسول الأكرم صلوات الله عليه .. في حين أنّ هذا المتندّر يحاول تغيير الموضوع من أجل تغيير الحكم ، مشكلتنا مع اسرائيل ليست عقيدتهم وانما مشكلتنا معهم أنهم معتدون ومحاربون وغزاة ، مغتصبون لأرض الإسلام ، يقتّلون ابناء الإسلام وينتهكون حرماتهم وكرامتهم ..!! ، قال تعالى ( وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ) النساء ٧٥ ، وعن أبي عبد الله (عليه السلام) ان النبي (صلى الله عليه وآله) قال : من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم . وسائل الشيعة ج١٦ ص٣٣٧

لا أحقية لليهود في أرض فلسطين ، فهي أرض المسلمين خالصة ، قد طردوا عنها - وفق أحكام دينهم - الدولة البيزنطية المسيحية ، ولم يطالب اليهود الآن بهذه الأرض باعتبارها أرضاً يهودية بقدر ما هي أرض ميعاد عندهم ، مركزها بيت المقدس وتمتد شرقاً الى نهر الفرات وغرباً الى نهر النيل ، مستندين في ذلك على نصوص في التوراة قد أشارت الى وعد الهي لنبي الله إبراهيم - ع - بوراثة هذه الأرض ، وهم يعتبرون أنفسهم من سلالة ابراهيم ع وهم الأحق بهذه الأرض ..!!

والحقيقة أن أوربا قد ضاقت باليهود ذرعاً لما يتصفون به من صفات اجتماعية مقيتة ، فعملوا هذه المكيدة لجمع يهود العالم في مكان واحد بتخطيط وتنفيذ بريطاني ماكر وملعون في النصف الأول من القرن العشرين .. !!

قال تعالى { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } العمران ١٦٠

# والحمد لله رب العالمين